الباب الخامس

أطباء العصر الفاطمى

من ٣٥٩ إلى ٥٦٧ هـ

من ٩٦٩ إلى ١١٧١ م

مقدمة الباب الخامس

استمر حكم الفاطميين فى مصر ما يزيد قليلا على قرنين من الزمان، وكأى عصر من العصور يبدأ قويا وينتهى ضعيفا. وقد كان جل هم الفاطميين نشر المذهب الشيعى، وأسسوا دار الحكمة لتقوم بهذا الغرض. ولاشك فى أن الفاطميين أسهموا بقوة فى تحقيق الازدهار العلمى بمصر، وقد بسطوا حمايتهم على العلماء وأحاطوا أهل الذمة من غير المسلمين برعايتهم وإشراكهم فى الحكم، واستعان الخليفة المعز لدين الله بكثير من الأطباء اليهود، كما عين العزيز بالله بن المعز يعقوب بن كلس، وهو من أصل يهودى، وزيراً له، وجعل نسطورس القبطى عاملا على سائر جهات مصر، واستخدم يهوديا عاملاً على دمشق، وحظى النصارى فى عهده بحماية زوجته النصرانية الأصل، وعاشت مصر فى عهده فى بحبوحة ورغد. وخلفه الحاكم بأمر الله، تلك الشخصية الفذة التى احتار المؤرخون فى وصفها وبيان أحوالها. وبتوالى الخلفاء وعدم الاستقرار فى تصرفاتهم ضعفت دولة الفاطميين.

وفى عهد الفاطميين برز عدد من الأطباء ذوى الشهرة والباع الطويل فى التأليف، وكان غالبيتهم من النصارى واليهود. وقد جاء بعضهم من الأمصار الأخرى فى الدولة الإسلامية ليحظوا برعاية وحماية الفاطميين فى مصر.

ومن الأطباء الذين صنفوا كتباً عديدة فى الطب ابن سعد التميمى الذى احتضنه يعقوب بن كلس، وعمار الموصلى، وهو كحال مشهور، وأحمد البلدى مؤلف كتاب تدبير الحبالى والأطفال، وعلى بن سليمان، وماسويه الماردينى، وابن الهيثم، وابن رضوان المصرى والمبشر بن فاتك، وأفرائيم بن الزفان، وابن العين زربى وغيرهم.

وعلى رغم أن بعض الأطباء المشهورين مثل أبو البيان بن المدور أبوسليمان أبى فانه وأبو الفضائل بن الناقد والشيخ السديد رئيس الطب خدموا بعض الخلفاء الفاطميين، إلا إن استمرار خدمتهم ورياسة بعضهم للطب فى مصر فى عصر الأيوبيين جعلنا نؤثر ضمهم لأطباء العصر الأيوبى. خاصة أن تواريخ وفاتهم جاءت فى العصر الأخير.

موسى بن العازار

(موسى بن ايلى عازار)

توفى بعد ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م

وهو إسرائيلى، مشهور بالتقدم والحذق فى صناعة الطب، وكان فى خدمة المعز لدين الله الفاطمى (حكم مصر ٣٤١ - ٣٦٥ هـ/ ٩٥٢- ٩٧٤م) وركب له أدوية كثيرة، ومما ركب للمعز شراب التمر هندى واشترط فيه شروطاً كثيرة من النفع وذكر التميمى المقدسى صورة التركيب فى كتاب مادة البقاء[١]. وله من الكتب : الكتاب المعزى فى الطبيخ للمعز، مقالة فى السعال، جواب مسألة سأله عنها أحد الباحثين عن حقائق العلوم الراغبين جنى ثمارها، وكتاب الأقرابازين[٢].

وكان عالماً بتركيب الأدوية وطبائع المفردات وهو الذى ألف شراب الأصول وذكر أنه يفتح السدد ويحلل الرياح الشراسيفية والأمغاص العارضة للنساء عند حضور طمثهن، ويدر الطمث وينقى الرحم من الفضول المانعة لها من قبول النطفة ومن الأخلاط اللزجة التى تكون سبب إسقاط الأجنة، وينفع الكلى وينقيها من الفضول الغليظة المتكون منها الحصى ويطرق الأدوية الكبار حتى يوصلها إلى عمق الأعضاء المؤلمة ويحل الماء الأصفر من البطن ويخرجه بالبول[٣].

ولموسى ابن؛ هو اسحق بن موسى المتطبب كان فى خدمة المعز، وكان جليل القدر عنده، ومتوليا أمره، ولما مات اسحق سنة ٣٦٣هـ / ٩٧٣ م اغتم المعتز لموته، وجعل موضعه أخاه إسماعيل بن موسى وابنه يعقوب بن اسحق وكان ذلك فى حياة أبيهم موسى. ويذكر ابن أبى أصيبعة أنه قبل وفاة اسحق بيوم واحد مات أخ له مسلم اسمه عون الله بن موسى[٤].

يوسف النصرانى

كان طبيبا عارفا بصناعة الطب، فاضلا فى العلوم، وقال يحيى بن يحيى فى كتاب تاريخ الذيل : إنه لما كان فى السنة الخامسة من خلافة العزيز (ت ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م). صير يوسف بطريكا على بيت المقدس، وأقام فى الرئاسة ثلاث سنين وثمانية أشهر. ومات بمصر، ودفن فى كنيسة مارئوادرس مع آباء آخرين منهم منطودلا القيسرانى[٥]..

---

(١) ابن القفطى ص ٢١٠ - ٢١١

(٢) منه نسخة خطية، لدى الخورى نيقولاوس نحاس فى حلب، تاريخها ٨٢٨ هـ/ ١٤٢٤ م (سباط : ذيل الفهرس، ص ٦٣، الرقم ٣٠٠٥) انظر : كوركيس عواد ص ١١٦

(٣) ابن القفطى ص ٢١٠ .

(٤) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٤١ - ١٤٢.

(٥) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٤٢.

أعين بن أعين

ت ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م

كان طبيباً متميزاً فى الديار المصرية، وله ذكر جميل وحسن معالجة، ولم يعرف عن نحلته وعقيدته شيئاً. عاش أكثر عمره فى المهدية، واشتهر فيها بممارسة الطب، والكحالة بصفة خاصة. ويظهر أنه كان من جملة أطباء الفاطميين، ورافقهم إلى مصر. وتوفى فى مصر فى شهر ذى القعدة سنة خمس وثمانين وثلاثمائة، فى أيام الخليفة العزيز بالله.

وله من المؤلفات : ١- كناش ٢- كتاب فى أمراض العين ومداواتها[1].

عيسى بن البطريق

كان طبيبا نصرانيا عالما بصناعة الطب علمها وعملها، متميزاً فى جزئيات المداواة والعلاج مشكوراً فيها. وكان مقامه بمدينة مصر القديمة. وهو أخ سعيد بن البطريق الذى تقدم ذكره. ولم يزل عيسى بمدينة مصر طبيبا إلى أن توفى بها[2].

ابن سعيد التميمى

توفى بعد ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد التميمى المقدسى، كان مقامه أولا بالقدس حيث ولد ونشأ. وله معرفة جيدة بالنبات وماهياته والكلام فيه. وكان متميزا أيضا فى أعمال صناعة الطب والاطلاع على دقائقها، وله خبرة فاضلة فى تركيب المعاجين والأدوية المفردة.

واستقصى معرفة أدوية الترياق الكبير الفاروق وتركيبه، وركب منه شيئا كثيراً على أتم ما يكون من حسن الصنعة. وهو الذى أكمل الترياق الفاروق بمازاده فيه من المفردات وذلك بإجماع الأطباء[3].

وطاف ابن سعيد التميمى فى ديار الشام، واستزاد فى الطب والأدوية من الأطباء الذين التقى بهم، ثم أقام فى الرملة-مدينة قديمة بفلسطين-بخدمة أميرها عبد الله بن طغج الإخشيدى[4].

وقد اجتمع فى القدس بحكيم فاضل راهب يقال له أنبا زخريا بن ثوابه. ولازمه التميمى وأخذ عنه فوائد وجملا كثيرة. وقد ذكر التميمى فى كتابه مادة البقاء، صفة سفوف الرجفان الحادث عن المرة السوداء المحترقة، وذكر أنه نقل ذلك عن أنبا زخريا.

---

(١) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٤٣.

(٢) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٤٣.

(٣) ابن القفطى ص ٧٤

(٤) ابن أبى أصيبعة ١٤٢/٣، وقد جاء فى ابن القفطى ص ٧٤ أن اسمه الحسن بن عبيد الله بن طغج

ولما انتقل الحكم فى مصر إلى الفاطميين، اتصل ابن سعيد التميمى بالوزير يعقوب ابن كلس[1] وانضم بوساطته إلى حاشية الخليفة المعز، وجالس العلماء والأطباء الذين يفدون إلى بلاطه، وأظهر لهم مقدرته فى مزاولة الطب.

وقد صنف وركب ترياقاً أسماه مخلص النفوس لدفع السموم الحيوانية القاتلة. وقال فيه: هذا ترياق ألفته بالقدس وأحكمت تركيبه، مختصر نافع الفعل دافع لضرر السموم القاتلة المشروبة والمصبوبة فى الأبدان، بلسع ذوات السم من الأفاعى والثعابين وأنواع الحيات المهلكة السم، والعقارب والجرارات وغيرها. وذوات الأربع والأربعين رجلا، ومن لدغ الرتيلاء والعظايات. مجرب ليس له مثل، ثم ساق مفرداته وصورة تركيبه فى كتابه المسمى بمادة البقاء.

وصنف ابن التميمى لما كان بمصر جوارشنا[2] وركبه وسماه مفتاح السرور من كل الهموم، ومفرح النفس، ألفه لبعض إخوانه بمصر، وتوفى ابن سعيد التميمى بالقاهرة بعد سنة ٣٧٠هـ/٩٨٠م[3] وله مؤلفات فى الطب[4] منها:

١- حبيب العروس وريحان النفوس (مجلس شورى)

٢- كتاب مختصر فى الترياق

٣- كتاب مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء ذكر فيه ترياق مخلص النفوس. ألف هذا الكتاب بمصر ورفعه إلى الوزير ابن كلس

٤- رسالة إلى ابنه على بن محمد فى صنعة الترياق الفاروق، والتنبيه على ما يغلط فيه من أدويته، ونعت أشجاره الصحية، وأوقات جمعها، وكيفية عجنه، وذكر منافعه وتجربته

٥- كتاب فى الترياق - وهو مختصر

٦- مقالة فى ماهية الرمد وأنواعه وأسبابه وعلاجه

٧- كتاب الفحص والأخبار

٨- المرشد إلى جواهر الأغذية، وقوى المفردات فى الأدوية - مخطوطته بمكتبة باريس

وقد أخذ عنه ابن البيطار فى كتابه الجامع.

---

(١) أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن ابراهيم بن داود بن كلس، ولد ببغداد سنة ٣١٨ هـ/٩٣٠ م، ثم انتقل إلى المغرب الأقصى فخدم المعز الفاطمى العبيدى سنة ٣٦٣ هـ، وتولى أموره فى سنة ٣٦٨هـ ولقبه المعز بالوزير الأجل. توفى أيام العزيز سنة ٣٨٠ هـ/ ٩٩٠ م (الاعلام، الزركلى ٩٠ / ٢٦٧) وأسلم يعقوب بن كلس يوم الإثنين لثمانى عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ست وخمسين وثلاثمائة (وفيات الأعيان ٧ / ٢٨)

(٢) معنى الجوارش فى اللغة الفارسية هاضم الطعام، وأكثر ما يقع هنا الاسم على المعجونات التى تقع فيها الأفاويه والفلافل الثلاثة والزنجبيل (الدستور البيمارستانى تحقيق بولس شباط ص ٢٣).

(٣) ابن أبى أصيبعة ٣/١٤٣- ١٤٦

(٤) السامرائى: تاريخ الطب ٢ /٢٦ -٢٧.

وذكر الدوميلي[1] أنه توجد نسخة فى الأسكوريال (أو كانت موجودة) تعليقات كتبها طبيب مساعد، تؤلف خمسين استشارة طبية أعطاها طبيب يدعى محمد التميمى، ولاندرى هل المقصود هو طبيبنا المذكور هنا، أو هو سَمِيٌّ له عاش بعده قليلاً (وربما فى الأندلس).

عمار بن على الموصلى

هو أبو القاسم عمار بن على، ولد بالموصل وإليها نسب، وتعلم الكحالة فيها وأكثر من التجوال فيما بين الحواضر، فدخل خراسان، وديار بكر، وجنوب العراق إلى الكوفة. كما دخل سوريا وفلسطين، ومكة والمدينة. ومارس تداوى أمراض العين وعملياتها فى تلك الأقطار، ويعرف عند اللاتين باسم Canamusli.

وقد دخل عمار الموصلى مصر فى زمن الحاكم بأمر الله الفاطمى (٣٨٦ – ٤١١هـ/ ٩٩٦ – ١٠٢٠م)، ولما اشتهرت طبابته بالنجاح ألحقه الخليفة بحاشيته، وصار أحد أطبائه.

وعمل الموصلى فى البيمارستانات وفى تعليم صناعة الكحل، وكان يستصحب تلاميذه معه حين يعود مرضاه فى منازلهم، وحين يذهب ليجرى على عيونهم. وقد تفرغ الموصلى لصناعة الكحالة دون فنون الطب الأخرى.

وألف الموصلى كتاب المنتخب فى علاج أمراض العين، ذكر ابن أبى أصيبعة[2] أن اسمه كتاب المنتخب فى علم العين وعللها ومداواتها بالأدوية والحديد. وقد ألفه للحاكم بأمر الله فى حوالى سنة ٤٠١ هـ/١٠١٠م.

ويتضمن كتاب المنتخب واحد وعشرين فصلا، فى تشريح العين ووظائفها، وذكر من أمراضها واحداً وخمسين صنفاً، مع وصف علامات كل منها، وتداويها بالطرق الطبية والجراحية، ويحوى الكتاب كثيراً من الملاحظات والإشارات المبتكرة، وعديداً من الأفكار الأصيلة التى لم يذكرها قبله الكحالون العرب. وتفصيلات دقيقة فى وصف علامات وأعراض أمراض العيون وتداويها، لم يسبقه إليها اليونانيون. وصنف الموصلى فى كتابه أنواع مرض الكتاراكت، وعلل الإصابة به إلى الإفراط بأكل السمك، والسكن فى الأماكن الرطبة كسواحل البحار والمناطق الحارة. وحذر من معالجتها بعملية القدح قبل نضج المرض. وشخص النضج حين يفقد المريض القدرة على تمييز الألوان. ووصف بدقة تقنية عملية القدح للكتاراكت، واستعمال المقداح المصمت بالسحب، والمقداح المجوف بالمص.

ويعزى اختراع المقداح المجوف إلى أبو القاسم عمار الموصلى، على أن الطبيب أنتلوس Antyllos(القرن الثانى الميلادى) الذى عاش فى مصر[3]. قد مارس استعمال هذا النوع من المقداح، إلا أن المقداح الذى

(١) الدوميلى ص ٢٤٧.
(٢) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٤٧
(٣) الدوميلى ص ٢٤٠

استعمله كان معمولا من الزجاج. بينما كان مقداح الموصلى معمولا من المعدن الذى لايحمل خطورة الكسر كما أن الموصلى استعمل مقداحه بكثرة وتفنن وسجل عملياته وماحدث أثناء العملية من الاختلاطات والغرائب كما يفعل المارس الحاذق المتتبع فى الدلب السريرى[1].

وقد ترجم المنتخب إلى اللاتينية من قبل داود هرمانوس(دافيد أرمنياكوس) وبقى من مقررات التدريس فى كليات الطب بأوروبا حتى النصف الأول من القرن الثامن عشر.

وتوجد له ترجمة ألمانية نشرها هرشبرج وليبرت وميتفوخ سنة ١٩٠٥[2] بعنوان: كتاب أطباء العيون العرب، محرراً على أساس المصادر الأصلية، جـ ٢ ليبزج ١٩٠٥

Die arabischen Augenärzte nach den Quellen bearbeitet vol. II, Leipzig 1905.

وكانت الترجمة عن نسخة عربية وعبرية ناقصة.

ومن ناحية أخرى ترجم كتاب الموصلى إلى العبرية فى القرن الثالث عشر الميلادى بقلم ناثان هامئتى. ولا علاقة لهذا الكتاب أصلاً بترجمة دافيد أرمنيا كوس :

La tractatus de oculis Canamusali de David Armeniacus

ويذكر الدوميلى[3] أنه كثير مانسب هذا الكتاب إلى الموصلى، وقد نشر هذا الكتاب كثيراً أيضا فى عصر النهضة، ونشرهPansier بعنوان:

Magistri David Armeniaci compilatio in libros de ocularum curationibus et diversorum philosophorum de Baladach, Paris 1904.

وأشار الدوميلى إلى كتاب صحة العين لدافيد ارمينيو، تأليف موى سكالنتشى، نابلى ١٩٢٣ :

Moé Scalenci 1923. Il libro pro santie ocularum di M. Davide Armenio. Napoli

وأشار مايرهوف[4] إلى أن مخطوطة كتاب المنتخب فى مكتبة تيمور باشا، كما يوجد أجزاء مخطوطة فى الأسكوريال والرباط ولينتجراد. وظهر لماكس مايرهوف كتاب: عمليات ماء العين لعمار بن على الموصلى:

Max Meyerhof, Les operationes de cataracta de Ammar ibn Ali al-Mausili, Masnou (Barcelona).

---

(١) السامرائى، تاريخ الطب ٢ / ٢١- ٢٣ .

(٢) الدوميلى ص ٢٤٨

(٣) الدوميلى ص ٢٤٩

(٤) مايرهوف : كتاب العشر مقالات فى العين ١٩٢٨ ص ١١

كيسان

ت ٣٧٨ هـ/ ٩٨٨ م

هو كيسان بن عثمان بن كيسان أبو سهل الطبيب النصرانى المصرى وكان بمصر فى الأيام المعزية والأيام العزيزية، وكان مشهور الذكر معروف الصنعة والمعالجة، خدم الدولة العصرية وتقدم فيها، وتوفى فى السادس من شعبان سنة ٣٧٨ ساكن القصير فى أيام العزيز[١].

سهلان

ت ٣٨٠ هـ/ ٩٩٠م

هو أبو الحسن سهلان بن عثمان بن كيسان، كان طبيباً نصرانياً من أهل مصر، وارتفع جاهه فى الأيام العزيزية. وتوفى بمصر فى أيام العزيز بالله، فى يوم السبت لخمس بقين من ذى الحجة سنة ثمانين وثلاثمائه للهجرة. ودفن فى دير القصير عند قبر أخيه كيسان بن عثمان بن كيسان. ولم يتعرض العزيز لتركته، ولم يترك أحدا يمد يده إليها على كثرتها[٢]. وذكر كوركيس عواد[٣] وسباط[٤] مؤلفا لابن كيسان بعنوان : الاقرابازين، وذكرا أن منه نسخة خطية قديمة، لدى جرجى عقاد فى حلب تاريخها ٤٧٢ هـ/١٠٧٩ م، وأشار إلى سباط: الفهرس (١ :٤٧، ٣٥٦) وإلى سزكين. ولسهلان مختصر فى الطيب صنفه للخليفة العزيز بالله ملك مصر (٩٧٥-٩٩٦م). وقد حققه سباط[٥] عن نسخة بخط الربان داود كتبها فى يونيه سنة ١٠٩٣ م فى دير والدة الإله للسريان بصعيد مصر. وتبدأ المخطوطة كالآتى: مختصر فى الطيب صنفه للخليفة العزيز بالله ملك مصر أبو الحسن سهلان بن عثمان بن كيسان الطبيب النصرانى الملكى من أهل مصر.

قال سهلان بن كيسان: هذا مختصر يشتمل على أصول الطيب المفرد منها والمركب، ذكرت فيه عللها وأجناسها وألوانها ومعادنها وأماكنها، مما لايستغنى عنه فى خزائن الملوك، واقتصرت على ذكر المسك والعنبر والعود والكافور، إذ كانت هى الأصول التى يتركب منها أنواع المعجونات، وآثرت فى ماقصدته الإيجاز والاختصار، والله حسبى كافياً ومعيناً ونعم الوكيل.

---

(١) ابن القفطى ١٧٦

(٢) ابن أبى أصيبعة ح ٣ ص ١٤٦ – ١٤٧.

(٣) كوركيس عواد ص ٤٠

(٤) سباط مختصر فى الطيب ص ١٨٥

(٥) سباط مختصر فى الطيب ١٨٣ – ٢١٣

الحقير النافع

يهودى من أهل مصر، وكان خاملا يرتزق بصناعة مداواة الجراح، وقد عرض للحاكم عقر أزمن فى رجله ولم يبرأ، ولم يتمكن ابن مقشر طبيب الحاكم وغيره من الأطباء من معالجته، وأحضر له هذا اليهودى الذى طرح عليه دواء يابساً فنشفه وشقاه فى ثلاثة أيام، فأطلق الحاكم له ألف دينار، وخلع عليه ولقبه بالحقير النافع، وجعله من أطبائه الخاصين[1].

أبو بشر طبيب العظيمية

كان فى أيام الحاكم مشهوراً فى الدولة، ويعد من الأفاضل فى صناعة الطب[2].

ابن مقشر

كان من الأطباء المشهورين، والعلماء المذكورين، مكينا فى الدولة، حظياً عند الحاكم، وكان يعتمد عليه فى صناعة الطب، وقال عبيد الله بن جبريل: إن ابن مقشر كان فى خدمة الحاكم، وبلغ معه أعلى المنازل وأسناها وكان له من الصلات الكثيرة، والعطايا العظيمة، قال: ولما مرض ابن مقشر الطبيب عاده الحاكم بنفسه، ولما مات أطلق لمخلفيه مالاً وافراً[3]. ويقول ابن القفطى عنه:

له يد فى المباشرة والمعالجة ولم يشتهر عنه علم فى هذا الشأن ولا ظهر له تصنيف وبلغ مع هذا أعلى المنازل وأسناها[4].

وقد جاء فى ابن أبى أصيبعة حديث عن طبيب هو أبو الفتح منصور بن سهلان بن مقشر، وذكر عنه أنه كان طبيباً نصرانياً مشهوراً وله دراية وخبرة بصناعة الطب، وكان طبيب الحاكم بأمر الله، ومن الخواص عنده، وكان العزيز أيضاً يستطبه ويرى له ويحترمه. وكان متقدماً فى الدولة وتوفى فى أيام الحاكم[5].

ونعتقد أن ابن مقشر الذى ورد ذكره هنا هو أبو الفتح منصور بن سهلان بن مقشر. ويقول عنه ابن القفطى[6] فيقول: الطبيب المصرى أبو الفتح النصرانى، كان ابن مقشر هذا من الأطباء المتقدمين فى الدولة القصرية بالديار المصرية، وله منزلة سامية من أصحاب القصر. ولاسيما فى أيام العزيز منهم، واعتل منصور بن مقشر

(١) ابن أبى أصيبعة ٢ / ١٤٧، ١٤٨، ابن القفطى ص ١٢٢ – ١٢٣ .
(٢) ابن أبى أصيبعة ٢ / ١٤٨
(٣) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٤٨
(٤) ابن القفطى ص ٢٨٥
(٥) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٤٧
(٦) ابن القفطى ص ٢١٩ – ٢٢٠

هذا فى أيام العزيز فى سنة ٣٨٥ هـ، وتأخر عن الركوب. ولما تماثل ابن مقشر كتب إليه العزيز بخطه كتاباً رقيقاً أورده القفطى، تمنى فيه العزيز لابن مقشر العافية والبرء وكمال الصحة.

وعلى رغم أن ابن أبى أصيبعة وابن القفطى ذكراً أبو الفتح منصور بن سهلان بن مقشر وكذلك ابن مقشر منفصلين، إلا إننا نعتقد أنهما شخص واحد خاصة أنهما فى نفس الفترة الزمنية.

إسحق بن إبراهيم بن نسطاس

أبو يعقوب، اسحق بن إبراهيم بن نسطاس بن جريج، نصرانى فاضل فى صناعة الطب. وكان من أطباء الحاكم بأمر الله الفاطمى (ت ٤١١ هـ/ ١٠٢٠ م) وتوفى إسحق بالقاهرة فى أيام الحاكم[1].

أحمد بن محمد البلدى

ت حوالى ٣٨١ هـ/ ٩٩١ م

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن يحيى البلدى، نسبة إلى بلد (بلخ) وهى البلدة القريبة من الموصل بالعراق[2]. تعلم ممارسة الطب فى الموصل على أحمد بن أبى الأشعث[3] ولازمه سنتين، وكان من أجلّ تلاميذه. ولما قويت ممارسته فى الصنعة، سافر بحدود سنة ٣٥٣ هـ/ ٩٦٤ م إلى مصر إبان حكم الإخشيد. واتصل بيعقوب بن كلس. ونال أحمد بن محمد البلدى الإكرام والتقدير من يعقوب بن كلس، وبقى بخدمته إلى آخر عمره. ولايعرف تاريخ مؤكد لوفاة ابن البلدى، ويرجح كونه حيا قبل سنة ٣٦٨ هـ، ذكر البلدى فى مقدمة كتابه (تدبير الحبالى والأطفال) أنه ألفه للوزير الأجل يعقوب بن يوسف بن كلس، ولم يحمل الوزير يعقوب هذا اللقب إلا فى سنة ٣٦٨ هـ حيث لقبه به المعز الفاطمى[4].

ويعرف للبلدى كتاب واحد باسم « تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم»، وقد أشار الدكتور محمود الحاج قاسم فى مقدمته لهذا الكتاب إلى أنه لايمكن أن يكون ابن البلدى قد ألف كتاباً واحداً فى علم الطب الذى بلغ شوطاً بعيداً فى وقت مبكر، ويذكر أنه وجد إشارة فى الباب الرابع عشر من المقالة الثالثة من كتابه آنف الذكر حول عزمه على تأليف كتاب حول المعالجة

(١) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٤١

(٢) ذكر الدكتور محمود الحاج قاسم انها مدينة اسكى موصل أى الموصل القديمة كما أشار الدكتور قاسم إلى تعجبه كيف استنتج الدكتور فؤاد سيزكين فى كتاب تاريخ التراث العربى (المجلد الثالث – القسم المتعلق بالطب والصيدلة ص ٣١٨) بأنه من بلد التى هى فى فارس.(انظر الدكتور محمود الحاج قاسم ص٣٦)

(٣) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبى الأشعث، من علماء فارس المتدينين الذين توجهوا إلى الموصل فى حوالى سنة ٣٤٨/٩٥٩ م، وكثر عليه طلاب المعرفة ليتعلموا عليه فنون الصنعة. وكان منهم البلدى، وتوفى ابن الأشعث فى الموصل سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٠ م وله ١٩ مؤلفاً فى الطب، السامرائى ١ / ٥٢٨ – ٥٣١

(٤) الأعلام، الزركلى ٢٦٧/٩

بطريقة تعليق بعض المواد والعلاجات على المريض وتبخيره بها، وإشارة أخرى فى الباب الثانى والخمسين من المقالة الثالثة من الكتاب نفسه حول عزمه على تأليف كتاب مستقل عن الجدرى والحميقاء.

وقد حقق الكتاب الدكتور محمود الحاج قاسم محمد، ونشر سنة ١٩٨٠[١] وفى الكتاب شروح مستفيضة لخلق الجنين وعلامات الحبل، والولادة المسبقة فى الشهر السابع الذى يكون فيها الوليد قادراً على العيش، وفى الشهر الثامن الذى يكون فيها الوليد غير قادر على العيش فيهلك، وتعليل هذا الزعم. وفيه أيضاً معلومات واسعة عن رعاية الحامل والطفل وطرق علاج أمراضه، وطرق تغذيته وأسلوب تربيته، وما إلى ذلك مما له علاقة بصحة الطفل وأمراضه.

ويقول الدكتور السامرائى[٢] أن محتوى كتاب تدبير الحبالى والأطفال يناظر من وجوه كثيرة كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين لعريب بن سعيد القرطبى المتوفى حوالى سنة ٣٦٠ هـ/ ٩٧٠ م، إلا إنه أوسع منه مادة، وأكثر شمولا للأمراض التى تصيب الحامل والطفل، كما يذكر أن للكتاب عدة مخطوطات فى مكتبة كلية الطب الملكية بلندن، ومكتبة خودا بخش فى مدينة بنتا - بيها - الهند، ودار الكتب المصرية، وجوته فى ألمانيا الشرقية، كلكتا والجمعية الآسيوية فى البنغال. وقد ذكر الدكتور قاسم هذه المخطوطات عدا الأخيرة.

ويحتمل الدكتور السامرائى[٣] أن يكون لأحمد بن محمد البلدى كتاب فى الجدرى وآخر فى الحميقاء.

على بن سليمان

ت بعد ٣٩١ هـ /١٠٠٠م

كان طبيباً فاضلاً متقناً للحكمة والعلوم الرياضية، متميزاً فى صناعة الطب، وكان فى أيام العزيز بالله وولده الحاكم ولحق أيام الظاهر لإعزاز دين الله ولد الحاكم[٤] (٣٨٦-٤١١هـ/٩٦٦-١٠٢١م).

ولعلى بن سليمان من الكتب:

١- اختصار كتاب الحاوى فى الطب.

٢- كتاب الأمثلة والتجارب والأخبار والنكت والخواص الطبية المنتزعة من كتب أبقراط وجالينوس وغيرهما.

---

(١) دار الرشيد، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية

(٢) السامرائى تاريخ الطب العربى ٢/٢٥

(٣) السامرائى تاريخ الطب العربى ٢/٢٥

(٤) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٤٨ - ١٤٩

٣- تذكرة له ورياضة وذكر ابن أبى أصيبعة أنه وجد هذا الكتاب بخطه أربعة مجلدات. وقد ذكر فيه أنه ابتدأ بتأليفه فى سنة ٣٩١ هـ بالقاهرة.

٤- كتاب التعاليق الفلسفية، وذكر ابن أبى أصيبعة أنه وجد هذا الكتاب بخط على بن سليمان، وأنه يقول فيه: إنه ابتدأ بتصنيفه بحلب فى سنة ٤١١ هـ.

٥- مقالة فى أن قبول الجسم التجزؤ لايقف ولا ينتهى إلى مالا يتجزأ، وتعديد شكوك تلزم مقالة أرسطوطاليس فى الأبصار، وتعديد شكوك فى كواكب الذنب.

ماسويه الماردينى

ت ٤٠٦ هـ/ ١٠١٥م

ليس فى التراثيات العربية ذكر لطبيب بهذا الاسم، أما الكتاب الأوروبيون فيذكرونه بهذا الاسم، ويسمى عندهم Mesue Junior أى ماسويه الأصغر، ويذكر السامرائى[1] إن الغربيين يذكرون أنه ولد فى ماردين على الفرات الأعلى، ويقول الدوميلى[2] إنه بعد إقامته ببغداد توجه إلى مصر فعمل فى بلاط الخليفة الحاكم. وتوفى بالقاهرة عن نحو تسعين عاماً.

الطريف فى الأمر أن الغربيين ينسبون له كتباً عديدة، نقلت من قبل يهودى صقلى إلى اللغة اللاتينية، كما ترجمت إلى العبرية أيضاً. وتعد مخطوطاتها العربية من المخطوطات المفقودة وعن تاريخ ماسويه الماردينى هذا فإن الدوميلى بعد سرده بعض المعلومات عنه، يذكر فى أحد الهوامش: هذا إذا وثقنا بما كتبه الحسن بن محمد الوزانLeo Africanus الكاتب والجغرافى المشهور فى القرن السادس عشر والذى أخذه المسيحيون أسيراً سنة ١٥٢٠م، وعاش بعد ذلك طويلاً فى روما. ويضيف الدوميلى[3] قوله:

أما وقد ذكرنا أنه لايوجد نص عربى أصلاً لماسويه الماردينى فالمفروض أن النصوص اللاتينية التى بأيدينا، إنما هى من كتب الغرب المسيحى، جمعت على أساس المصادر العربية فى أثناء القرنين الحادى عشر والثانى عشر، ولإعطائها أهمية خاصة نسبت إلى اسم كان الناس يعتقدون أنه جدير بمنحها تلك الأهمية.

ومهما يكن من أمر فقد طبع فى البندقية سنة ١٤٧١ م كتاب : فى طب العامة والخاصة:

De Medicinis laxativis, Antidotarium sive Gabraddin medicaminum compositum. (أى اقرابازين) وهو أهم كتاب لماسويه، كما نشر أيضاً كتاب: Practica medicinarum particuliarum ويسمى أيضا Liber de appropriates. وتوجد له أيضاً طبعة نشرها Pietro d`Abono، والطبعة التالية لذلك فى البندقية سنة ١٤٧٩م تحتوى على تكملة عنوانها:

Francisci de Pedemontium complementum.

---

(١) السامرائى، تاريخ الطب ٢ / ٦٠٩

(٢) الدوميلى، العلم عند العرب ص ٢٤٠

(٣) الدوميلى، العلم عن العرب ص ٢٤٧

كما تحتوى على كتب أخرى لمؤلفين آخرين. وطبع هذا الكتاب طبعات عديدة فى البندقية وليون، وكما يوجد طبعة فى باريس ١٥٤٢ م لترجمة جديدة بقلم سيلفيوس Jac. Sylvius .

وقد عرف الغرب كتاب : Pharmacopeorum Evangelista.

وهكذا نرى أن كتب المدعو ماسويه الماردينى، أو الكتب المنسوبة إليه، كانت أكثر الكتب المقروءة مما نقل عن المكتبة العربية. ونتصور أن حركة الترجمة النشطة من العربية إلى اللاتينية التى برزت بصورة واضحة فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر قد جرت على أيدى عديد من الناس، وأن بعضهم قد تعمد إخفاء اسم المؤلف العربى الحقيقى، ونسبها إلى نفسه مثلما فعل قسطنطين الإفريقى بنقله عديداً من الكتب والمصنفات العربية إلى اللاتينية وانتحاله إياها، وفى تاريخ بطرس دياكونوس Petrus Diaconus (المتوفى بعد ١١٤٠م) نجد ذكرا لقائمة تضم ٢٤ كتاباً منسوبة إلى قسطنطين الإفريقى.

ويؤكد الدوميلى[1] إن اللمعان الحقيقى لمدرسة سَالِرْنو لم يتم إلا بتأثير أعمال قسطنطين الإفريقى، والحقيقة إنها ليست أعماله، إنما هى نُقُول وترجمات قام بها.

ابن الهيثم

ولد نحو ٣٥٤هـ/٩٦٥م

ت نحو٤٣٢هـ/١٠٣٩م

أبو على الحسن بن الهيثم[2]، ويسميه الغربيون Alhazen، وولد نحو سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م بالبصرة، ونشأ بها، ودرس فيها الرياضيات والهندسة وبحث فى علومها ونبغ فيها بابتكاراته العلمية القيمة، كما درس الطب أيضاً، ولايعرف أحد من شيوخه فى هذا الاختصاص.

ويقول عنه الدوميلى[3] إنه كان رياضياً وعالماً بالطبيعيات على وجه الخصوص ولكنه تجاوز ببعيد، فى مجاله المحدود، أهمية جميع الطبيعيين الآخرين عند العرب.

كان ابن الهيثم مستقيماً فى أعماله، وافر الزهد، فوكلت إليه مناصب إدارية رفيعة فى دولة الخليفة الطائع العباسى (٣٦٣-٣٨١هـ/ ٩٧٤-٩٩١م) إلا إنه فضل الانقطاع إلى العلم، فتحايل على اعتزال وظيفته الحكومية. وقيل إنه استطاع أن يفعل ذلك بتظاهره بالجنون ويقول ابن القفطى[4]: وبلغ الحاكم (٣٦٨-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢١م) صاحب مصر من العلويين، وكان يميل إلى الحكمة، خبره (أى خبر ابن الهيثم) وماهو عليه من الإتقان لهذا الشأن، فتاقت نفسه إلى رؤيته، ثم نقل له عنه أنه قال: لو كنت بمصر لعملت فى نيلها عملاً يحصل به النفع فى كل حالة من حالاته من زيادة ونقص، فقد بلغنى أنه يتحدر من موضع

(١) الدوميلى مصدر سابق ص ٤٣١

(٢) يسميه ابن أبى أصيبعة أبا على محمد بن الحسن بن الهيثم، العيون ٣ / ١٤٩

(٣) ابن أبى أصيبعة ٣ /١٤٩

(٤) ابن القفطى ص ١١٤، جمال الدين أبو الحسن على بن انقاضى الأشرف يوسف القفطى المتوفى سنة ٦٤٦ هـ

عال، وهو فى طرف الإقليم المصرى، فازداد الحاكم إليه شوقاً وسير إليه سراً جملة من مال وأرغبه فى الحضور فسافر نحو مصر. ولما وصلها خرج الحاكم للقائه والتقيا بقرية على باب القاهرة المعزية تعرف بالخندق، وأمر بإنزاله وإكرامه، وأقام ريثما استراح، وطالبه بما وعد به من أمر النيل. فسار ومعه جماعة من الصناع المتولين للعمارة بأيديهم ليستعين بهم على هندسته التى خطرت له. ولما سار إلى الإقليم بطوله، ورأى آثار من تقدم من ساكنيه من الأمم الخالية، وهى على غاية من إحكام الصنعة وجودة الهندسة، واشتملت عليه من أشكال سماوية ومثالات هندسية وتصوير معجز، تحقق أن الذى يقصده ليس بممكن فإن من تقدمه لم يعزب عنهم علم ماعلمه، ولو أمكن لفعلوا. فانكسرت همته، ووقف خاطره، ووصل إلى الموضع بالجنادل قبلى مدينة أسوان، وهو موضع مرتفع ينحدر منه ماء النيل، فعاينه وباشره واختبره من جانبيه، فوجد أمره لايمشى على موافقة مراده. وتحقق الخطأ عما وعد به، وعاد خجلاً منخذلا واعتذر بما قبل الحاكم ظاهره ووافقه عليه. ثم أن الحاكم ولاه بعض الدواوين فتولاها رهبة لا رغبة، وتحقق الغلط فى الولاية، فإن الحاكم كان كثير الاستحالة - بريقاً للدماء بغير سبب أو بأضعف سبب، من خيال يتخيله، فأجال فكرته فى أمر يتخلص به. فلم يجد طريقاً إلى ذلك إلا إظهار الجنون والخبال. فاعتمد ذلك وشاع، فأحيط على موجوداته بيد الحاكم ونوابه، وجعل يرسمه من يخدمه ويقوم بمصالحه، وقيد وترك فى موضع من منزله، ولم يزل على ذلك إلى أن تحقق وفاة الحاكم. وبعد ذلك بيسير أظهر العقل، وعاد إلى ماكان عليه، وخرج من داره، واستوطن فيه على باب الجامع الأزهر أحد جوامع القاهرة، وأقام به متنسكاً متقدماً، وأعيد ماله من تحت يد الحاكم واشتغل بالتصنيف والنسخ والإفادة، وقد أفرج عنه الخليفة الجديد الظاهر (٤١١-٤٢٧ هـ/ ١٠٢١-١٠٣٦م).

وكان له خط قاعدته فى غاية الصحة. كتب به الكثير من علوم الرياضة. وقال ابن القفطى: ذكر لى يوسف الفاس الإسرائيلى الحكيم نزيل حلب، قال: سمعت أن ابن الهيثم كان ينسخ فى مدة سنة ثلاثة كتب فى ضمن اشغاله فى مدة السنة وهذه الكتب هى : أقليدس[1] والمتوسطات[2] والمجسطى[3]، فإذا شرع فى نسخها جاءه من يعطيه فيهم مائة وخمسون دينارا مصرية، وصار ذلك كالرسم الذى لايحتاج فيه إلى مواكسة[4] ولا معاودة قول، فيجعلها مؤنته لسنته، ولم يزل على ذلك إلى أن مات بالقاهرة فى حدود سنة ٤٣٠ هـ أو بعدها بقليل، والله أعلم، ورأيت بخطه جزءاً فى الهندسة وقد كتبه فى سنة ٤٣٢ هـ.

(١) هو كتاب الأصول لاقليدس، وهو كتاب فى أصول الهندسة أسمه الأسطروشيا، وأقليدس أقدم من أرشميدس وهو من الفلاسفة الرياضيين (الفهرست لابن النديم ص ٣٧١).

(٢) المتوسطات هى الكتب التى من شأنها أن تتوسط فى الترتيب التعليمى بين كتاب الأصول لاقليدس وبين كتاب المجسطى لبطليموس، أى التى قراءتها بين الكتابين المذكورين (كشف الظنون ص ١٥٨٥).

(٣) المجِسطى بكسر الميم والجيم وتخفيف الياء كلمة يونانية معناها الترتيب وأصلها ماجستوس أى البناء الأكبر، وهوأشرف ماصنف فى الهيئة بل هو الأم، ومنه تستخرج سائر الكتب المؤلفة فى هذا الفن. وقد عرب فى عهد المأمون، وعملت له اختصارات وشروح متعددة (كشف الظنون ص ١٥٩٤).

(٤) وَكَسَ - الوَكْس : النقص واتضاع الثمن فى البيع، لسان العرب : وَكَسَ.

وكان ابن الهيثم عالما متعدد الجوانب؛ فقد كان عالما مبرزا فى الرياضات، وعلاوة على ذلك كان خبيراً بأصول صناعة الطب وقوانينها وأمورها الكلية إلا إنه لم يباشر أعمالها. ولم تكن له دراية بالمداواة [1].

وابن الهيثم غزير الإنتاج فى تأليف الكتب، وله فى العلوم الرياضية وحدها خمسة وعشرون كتاباً، وفى العلوم الطبيعية والإلهية أربعة وعشرون كتاباً، هذا بالإضافة إلى عشرات المقالات والتعليقات فى علوم الحساب والفلك وغيرها. أما مؤلفاته فى الطب فقليلة جدا[2]: وذكر ابن أبى أصيبعة أنه نقل من خط ابن الهيثم فى مقالة له فيما صنعه وصنفه من علوم الأوائل إلى آخر سنة ٤١٧ هـ، الواقع فى شهور سنة ثلاث وستين الهلالية من عمره. وضمن حديث ابن الهيثم يقول: وأنا أشرح ماصنعته فى الأصول الثلاثة (يقصد بها العلوم الرياضية والطبيعية والإلهية) ليوقف منه على موضع عنايتى بطلب الحق وحرصى على إدراكه، وتعلم حقيقة ماذكرته من عزوف نفسى عن مماثلة العوام الرعاع الأغبياء، وسموها إلى مشابهة أوليا، الله الأخيار الأتقياء، فما صنعته فى العلوم الرياضية خمسة وعشرون كتاباً (ثم عدد هذه الكتب وذكر نبذة مختصرة عن كل منها)، ثم يواصل: ومما صنفته من العلوم الطبيعية والإلهية أربعة وأربعون كتاباً (ذكرها وعددها)، هذا بالإضافة إلى كثير من المقالات والكتب[3].

أما كتب ابن الهيثم فى الطب وما يرتبط به فهى ثلاثة :

١-كتاب المناظر، وهو أشهر ماكتبه المؤلف فى البصريات، وقد أكد فيه ابن الهيثم أن الضوء ينشأ من المرئيات. وليس كما ظنه القدماء من أن الضوء يخرج من العين ليلمس المرئيات بطريقة ما، كما نجد فى الكتاب وصفاً للعين، وإدراكا للرؤية أدق كثيراً، وأكثر تحديداً من جميع من تقدموه، ونجد فحصاً لظاهرة الانكسار الضوئى، ومحاولات لتفسير الرؤية المزدوجة (بالعينين)، وأول استعمال للغرفة المظلمة... ألخ.

وقد نشر عن هذا الكتاب عشرات البحوث نذكر منها بحث فيدمان :

Eilhard Wiedmann. Zu Ibn Al Haitham`s Optik

نشر فى أرشيف تاريخ العلوم الطبيعية ج ٣ سنة ١٩١٠ ص ٢- ٥. وقد شرح كتاب المناظر لابن الهيثم شرحاً ممتازاً عالم عربى من القرن الرابع عشر الميلادى هو : كمال الدين أبو الحسن الفارسي (المتوفى نحو ٧٢١ هـ /١٣٢٠ م)، وأضاف دراسات أصيلة تتعلق بالانعكاس والانكسار على سطح كرة، وقوس قزح، والغرفة المظلمة.... إلخ.

وطبع كرنكو هذا الشرح الذى يشتمل على النص الأصلى لتنقيح المناظر فى جزءين كبيرين، فى حيدر آباد سنة ١٣٤٨/٧ هـ/١٩٢٨ م[4].

---

(١) ابن أبى أصيبعة ١٤٩/٣

(٢) قائمة مؤلفات ابن الهيثم فى ابن أبى أصيبعة ٣ /١٥١ - ١٦٢ وابن القفطى ص ١١٦

(٣) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٥٤ - ١٦٢

(٤) الدومیلی ص ٢٠٧

وقد ترجم كتاب المناظر عدة مرات إلى اللاتينية، وذلك فى القرون الوسطى، وكان من أقدمها، بل ومن أفضلها الترجمة التى عملها جيرارد الكريمونى[1] فى طليطلة. وظهرت فى لشبونة سنة ١٥٤٢ م. كما نشر الكتاب بعد ذلك كثيراً ونشرت أقسام عديدة منه.

وعن أثر هذا الكتاب فى الغرب، فنورد ماذكره الدوميلى[2]، حيث يقول : أما بخصوص ماعملته الشعوب الغربية المسيحية فى القرن الثالث عشر مما يتصل بكتاب المناظر لابن الهيثم فيبدو أن كل ذلك مبنى على الترجمات اللاتينية القديمة، لا على الانتفاع المباشر بالنص العربى، واذا كان روجير بيكون Roger Bacon على نحو ما، غير متأثر بالعالم العربى، فإن كتاب جون بكام :

La perspectiva de John Peckam (1228- 1291).

ليس إلا اقتباساً ناقصاً من كتاب ابن الهيثم . وينبغى – من هذه الناحية– توجيه عناية أكبر إلى كتاب وايتلو (المولود بين ١٢٢٠ و١٢٣٠م والمتوفى بعد ١٢٧٠ م): De perspectiva de Witelo.

الذى ألفه نحو سنة ١٢٧٠م، فهو كتاب مأخوذ – فى قسم كبير منه – عن ابن الهيثم، ولايتجاوز بالنتائج التى وصل إليها هذا[3].

يضيف الدوميلى[4] قائلا، أما بخصوص أن يكون روجر بيكون عرف كتاب ابن الهيثم عن طريق مباشر أو بوساطة شرحه، فانظر للعالم الأسبانى بويج:

هل قرأ بيكون الكتب العربية ؟

M. Bouyges : Roger Bacon a-t–il lu les livres arabes ?[5]

ودراسات ابن الهيثم لنظرية انعكاس الضوء والعدسات، والمعضلة المعروفة باسمه : (معضلة ابن الهيثم) يجعلنا نذكر ما اشتملته نظريته فى انعكاس الضوء وهى كما يلى: افرض دائرة فى سطح، وافرض نقطتين خارجتين عن الدائرة، واجعل نقطة على الدائرة بحيث يكون المستقيمان اللذان يربطان هذه النقطة بالنقطتين السابقتين متساوية مع نصف قطر الدائرة. وهذا يسمح بحل المسألة التالية: عندنا مرآة إسطوانية، وشىء آخر يمكن اعتباره كنقطة. أوجد الموضع الذى ينبغى أن تتخذه العين لترى هذا الشىء فى المرآه. ويحتوى الحل على معادلة من الدرجة الرابعة، حلها ابن الهيثم بوساطة خط تقاطع دائرة وقطاع زائد.

وعن ابن الهيثم وكتابه المناظر أو البصريات، يقول تاتون[6]: درس هذا العلم بشكل خاص من قبل الفيزيائى المصرى ابن الهيثم المعروف فى الغرب الوسطى باسم: Al – hazen وقد أثر كتابه «كتاب المناظر»

---

(١) وهو مترجم كبير من العربية إلى اللاتينية Gerard Crémone (١١١٤–١١٨٧ م)

(٢) الدوميلى ص ٢٠٨

(٣) أنظر كذلك تاتون ص ٥٥٩

(٤) مصدر سابق ص ٢٠٩

(٥) نشر فى أرشيف التاريخ الذهبى والأدبى للعصور الوسطى، باريس سنة ١٩٣٠ ٥/٣١٢

(٦) تاتون، تاريخ العلوم العام ص ٤٩٣

تأثيراً حاسماً على تطور هذا العلم حتى القرن السابع عشر. مُلْهماً كل الذين يهتمون فى العالم العربى والغربى[1] بعلم البصريات النظرى والتجريبى. ومع نشر ديوبتريس كبلر (١٦١٠م)Kepler Dioptrice فقط ظهر اتجاه جديد حقاً : وبدأ مؤلف ابن الهيثم وكأنه المساهمة الأكثر أصالة والأكثر خصباً فيما قدم فى مجال البصريات قبل القرن السابع عشر. ومؤلفه يمكنه بحق، أن يعتبر من أهم ممثلى الفيزياء النظرية والعملية خلال الحقبة الوسيطية.[2]

وإحقاقا لحق ابن الهيثم نبين ماذكره تاتون عن أن اختراع الغرفة السوداء يعزى خطأ لليهودى ليو هيبروس (١٢٨٨ – ١٣٤٤م)[3] والتى حققها فعلاً ابن الهيثم فى القرن الحادى عشر.

٢– كتاب تقويم الصناعة الطبية، وكما يقول ابن الهيثم عنه إنه نظمه من جمل وجوامع ما نظر فيه من كتب جالينوس، وهو ثلاثون كتاباً (أى كتب جالينوس التى نظر فيها)، وهى كتبه فى: البرهان، فرق الطب، الصناعة الصغيرة، التشريح، القوى الطبيعية، منافع الأعضاء، آراء أبقراط وأفلاطون، المنى، الصوت، العلل والأعراض، أصناف الحميات، البحران، النبض الكبير، الاسطقسات على رأى أبقراط، المزاج، قوى الأدوية المفردة، قوى الأدوية المركبة، مواضع الأعضاء الآلية، حيلة البرء، حفظ الصحة، جودة الكيموس ورداءته، أمراض العين. إن قوى النفس تابعة لمزاج البدن، سوء المزاج المختلف، أيام البحران، الكثرة، استعمال الفصد لشفاء الأمراض، الذبول، أفضل هيآت البدن، جمع حنين بن اسحق من كلام جالينوس وكلام أبقراط فى الأغذية.

٣– مقالة فى إبطال رأى من يرى أن العظام مركبة من أجزاء كل جزء منها لاجزء له.

٤– مقالة فى جوهر البصر وكيفية وقوع الإبصار به.

٥– مقالة فى الرد على أبى الفرج عبد الله بن الطيب، رأيه المخالف به لرأى جالينوس فى القوى الطبيعية فى بدن الانسان.

٦– مقالة فى شرح القانون على طريق التعليق.

ابن رضوان المصرى

ت نحو ٤٥٣ هـ / ١٠٦١م

هو أبو الحسن على بن رضوان بن على بن جعفر، ولد فى الجيزة، وكان أبوه فراناً. وقد ذكر فى سيرته الذاتيه[4] أن دلالات النجوم كانت تدل على أن صناعته هى الطب، فبدأ بالتعليم وهو فى السادسة من

---

(١) أشار تاتون إلى أن عمل ابن الهيثم الأصيل لم يعرف إلا من خلال شرح الفارس وأن جزءاً منه ما يزال حتى اليوم غير منشور

(٢) تاتون ص ٥٦٧

(٣) Leo Hebraeus أو Les de Bagnols وهو يهودى من بروفنسا يدعى ليفى بن جرسون Levi Ben Gerson.

(٤) ابن أبى أصيبعة ٣ /١٦٤ – ١٦٥

عمره، وعندما بلغ العاشـرة انتقل إلى المدينة العظمى (القاهرة)، وأجهد نفسـه فى التعليم، ولما بلغ الرابعة عشـر يدأ يتعلم الطب والفلسفة، ولقى صعوبة ومشـقة لضيق ذات اليد فكان يتكسب مرة بصناعة التنجيم ومرة أخرى بصناعة الطب، مع مداومة على التعلم. ولم يزل على ذلك حتى بلغ الثانية والثلاثين من عمره. حيث اشتهر بالطب وأصبح دخله كافياً بل يزيد.

وكان مـن عـادات ابن رضوان أن يكتب تذكرة يغيرها كل عام، ومن عاداته اليومية أن يقوم بقسـط من الرياضة لحفظ البدن ثم يأكل مايغذى البدن بعد الرياضة. وذكر ابن رضوان فى سـيرته ماكان يتوخاه فى حياته من توسـط فى النفقـة لاتبذير ولا تقتير، وإهتمامه بالجليل من الأمور، واجتهاده فى كشـف كربة المكروب وغوث الملهوف. وقضاء وقت فراغه فى العبادة والتأمل.

وهكـذا يقـدم لنا ابـن أبى أصيبعة[1] فـى كتابه ما يختلف عمـا قدمه لنا القفطى[2] فـى كتابه أخبار الحكماء، بينما تنطبق تماماً على الصورة التى يقدمها ابن العبرى فى كتابه مختصر تاريخ الدول[3]، إذ يقول ابن القفطى: «وكان من المغلقين لا المحققين، ولم يكن حسـن المنظر ولا الهيئة، ومع هذا تتلمذ له جماعة مـن الطلبة وأخذوا عنه وسـار ذكره، وصنف كتباً لم تكن غاية فى بابهـا بل هى مختطفة ملتقطة مبتكرة مسـتنبطة... فأمـا تلاميذه فقد كانوا ينقلون عنه من التعاليل الطبيـة والأقاويل النجومية والألفاظ المنطقية مايضحك منه إن صدق النقلة...».

وذلـك علـى رغم ماذكره ابن القفطى فى صدر حديثه عن ابن رضوان حيث يقول : « كان علم مصر فى أوانه فى الأيام المستنصرية فى وسط المائة الخامسة «(يقصد أيام المستنصر بالله الفاطمى)».

اما ابن أبى أصيبعة فقد أسـهب فى الكلام عنه بتقدير وقال: « كان ملازماً للاشتغال والنظر فى العلم إلى أن تميز وصار له الذكر الحسن والسمعة العظيمة، وخدم الحاكم وجعله رئيساً للمتطببين»[4].

وقال عنه ابن تغرى بردى إنه كان من كبار الفلاسفة فى الإسلام[5] أما ابن عماد الحنبلى فقال : « هو المصرى الفيلسوف صاحب التصانيف، وكان رأساً فى الطب والتنجيم ومن أذكياء زمانه» [6] .

ويوضح السامرائى[7] أن الحكم على مراتب الأطباء وعلو أقدامهم فى الصناعة أكثر ما تعتمد على إنتاجهم فى الفكر الطبى والتأليف فيه، وابن رضوان فارس فى هذين الميدانين.

والعجيـب فـى الأمر أن ابن القفطـى يكرس فى كتابه صفحـات عديدة لابن بطـلان[8] الذى حدثت بينه وبين ابن رضوان مناظرات شـديدة، واسـتعرض رسـالة ابن بطلان والتىقدم لها بقوله: « ولما جرى

(٢) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٦٥
(٣) ابن القفطى ص ٢٨٨
(٣) ابن العبرى جريجوريوس الملطى – تاريخ مختصر الدول ص ١٩٢
(٤) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٦٦
(٥) النجوم الزاهرة ٥ / ٦٩
(٦) شذرات الذهب ٣/٢٩٣
(٧) الكتاب النافع ١٤
(٨) ابن بطلان – هو أبو الحسـن المختار بن الحسـن بن عبدون. نشأ فى بغداد وتعلم الطب على أبى الفرج عبدالله بن الطيب. وسافر إلى ديار الشام وآسيا الصغرى. ومصر، واجتمع فى مصر بابن رضوان وجرت بينهما منافرات ومناظرات.

لابن بطلان بمصر مع ابن رضوان ماجرى كتب إليه ابن بطلان رسالة يقظمه فيها ويذكر معايبه ويشير إلى جهله بما يدعيه من علم علوم الأوائل. وقد أفرد ابن القفطى لهذه الرسالة أكثر من إحدى عشرة صفحة، وأشار فيها ابن بطلان إلى جهل ابن رضوان وجهل تلاميذه وفى نهاية الرسالة يقول: « وإن لنا موقف حساب ومجمع ثواب وعقاب يتظلم فيه المرضى إلى خالقهم ويطالبون الأطباء بالأغلاط القاضية بهلاكهم، وأنهم لا يسامحون الشيخ (يقصد ابن رضوان) كما سامحته بسببى، ولايغضون عنه كما أغضيت عن ثلب عرضى.....».

واذا ما قرأنا ماكتبه ابن أبى أصيبعة عن ابن رضوان[1]، حيث يذكر: « وكان ابن رضوان كثير الرد على من كان معاصره من الأطباء وغيرهم، وكذلك على كثير ممن تقدمه. وكانت عنده سفاهة فى بحثه وتشنيع على من يريد مناقشته، وأكثر ذلك يوجد عندما كان يرد على حنين ابن اسحق وعلى أبى الفرج ابن الطيب[2] وكذلك أيضاً على أبى بكر محمد بن زكريا الرازى[3]. فأننا نفهم أن طبيعته تلك، مع ماتمتع به من رئاسة الطب، جعلت الحساد يهاجمونه ويكيدون له.

ويذكر السامرائى[4] أن ابن بطلان لم يكسب جولة علمية على ابن رضوان، ذلك لأنه كان يحارب بسلاح اللغة بينما كان ابن رضوان أكثر علماً وموضوعية فىذلك الخصام. ويذكر قطاية[5]: « وهكذا نجد أن معظم الأطباء (اسحق بن نسطاس وموسى بن العازار وأبو الفتح منصور بن سهلان بن مقشر والحقير النافع) كانوا من الممارسين وبعضهم ممارس جيد لا أكثر ولم يصل أحد منهم إلى مرتبة العالم، التىوصل إليها ابن رضوان كما تشهد بذلك مؤلفاته التى ينوف عددها على المائة تناولت معظم مواضيع الطب والصيدلة، ولكن الذى شجب موقفه هو اعتباره كتب جالينوس مرجعاً موثوقاً لاخطأ فيه إطلاقاً. الشىء الذى شل، إلى حد ما، فكره النقدى، ومحاولته نقض بعض آراء الفاضل جالينوس، الشىء الذى يبدو واضحاً فى معظم مؤلفاته الأخرى».

وكما اختلف مؤرخو الطب القدامى ومنهم ابن أبى أصيبعة وابن القفطى فى وجهة نظرهم تجاه ابن رضوان، فإن المحدثين لم يختلفوا عنهم كثيراً، فبينما يشيد قطاية[6] بابن رضوان فى مقدمته لكتاب

---

(١) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٦٧

(٢) أبو الفرج عبد الله بن الطيب – فيلسوف ورجل دين وطبيب ومفسر قديم للكتب اليونانية – نشأ فى بغداد (توفى سنة ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م (ابن أبى أصيبعة)

(٣) أبو بكر الرازى (ابو بكر محمد بن زكريا الرازى، طبيب المسلمين غير مدافع ولد ونشأ فى الرى. عمل صائغا فى أول عمره، وكان يومئذ يغنى ويلعب بالعود، وسافر إلى بغداد وفيها تعلم الطب، وعاد إلى الرى وعمل فىبيمارستانها ورجع إلى بغداد وتوفى بحدود سنة ٣١١ هـ/٩٢٣م بعمر يناهز الثامنة والخمسين سنة. من تصانيفه كتاب الحاوى فى الطب (ابن أبى أصيبعة ٣٤٣/٢، ابن النديم ص ٢٥٠– ٢٥٣، ابن القفطى ١٧٨) .

(٤) السامرائى – الكتاب النافع ١٨

(٥) قطاية – الكفاية فى الطب ٤٦

(٦) قطاية – الكفاية فى الطب ٤١ – ٤٦

الكفاية فى الطب المنسوب لعلى بن رضوان، فإن السامرائى[1] يؤكد على أسلوب ابن رضوان الخشن فى النقد، وضعف تبريراته فى الرد على ابن بطلان (على رغم أن السامرائى ذكر أن ابن بطلان لم يكسب جولة علمية على ابن رضوان)، وبين أن هجومه على أبى بكر الرازى يعد مَثْلَبة على ابن رضوان لا مثوبة له.

وفى الدراسة التى أجراها شاخت ومايرهوف[2] عن المناظرة الفلسفية والطبية بين ابن بطلان البغدادى وابن رضوان القاهرى، جاء ذكر الدراسة التى نشرها شتاين شنايدر عن حياة ابن رضوان أخذها من الترجمة اللاتينية لكتاب المربعة لبطليموس ومقالة فى الولادات الثلاث. وفيها سيرة ذاتية له، ولا توجد هاتان المخطوطتان بالعربية بل بترجمتها اللاتينية مع شرح ابن رضوان لكتاب بطليموس وهما مطبوعتان فى البندقية (عام ١٤٩٣– ١٥١٣م) وفيها معلومات إضافية عن حياته، أوردها د. قطاية[3] على النحو التالى:

« لم يعش والده أكثر من ٣١ سنة بينما عاشت أمه ٤٣ سنة، وكان له أخ وأخت كلاهما أكبر منه، وعندما كتب ابن رضوان ملاحظاته هذه كان قد بلغ ٥٢ سنة من العمر، وهى نقطة خطرة فى حياته، إذ قال عن نفسه إنه ذو بنية رئيوية ومزاج بلغمى وطبع هادئ وعاقل، وذكاء جيد، وعادات جيدة مع الامتناع عن المشروبات. ويستمر النص اللاتينى فيقول : وكانت بداية ثروتى، بعد أن كرست نفسى للطب، إذ أخذنى بعض أصدقائى إلى دكانه وأصبحت بديلا له، ولقد استفدت من ذلك كثيراً من أجل الطب... وكان مكتبى مكتب طب وتنجيم، وفى شبابى كان لى أعمال أخرى أربح منها، وبعد ذلك بدأ وضعى يتحسن عندما بدأت دراسة الطب».

ويضيف شتاين شنايدر إنه ربما كان له بضع زوجات « بعضهن من الحرائر وبعضهن من الجوارى» ولكنه تركهن. وكان محباً للنساء، ولكنه كان عفيفاً، وكان له صبى توفى بعد ولادته بقليل، وثلاث بنات، عاشت إحداهن سبع سنوات فقط، والأخرى سنة واحدة، ويقول: «ولم أتزوج حتى الثلاثين... ورزقت صبياً واحداً وعدة بنات، ولكنهم ماتوا جميعًا».

ويذكر ابن أبى أصيبعة[4] « وحدث فى الزمان الذى كان فيه ابن رضوان بديار مصر، الغلاء العظيم، والجفاف الفادح الذى هلك به أكثر أهلها، ونقلت من خط المختار بن الحسن بن بطلان أن عرض بمصر فى سنة ٤٤٥ هـ (١٠٥٣م) قال: « ونقص النيل فى السنة التى تليها وتزايد الغلاء، وتبعه وباء عظيم، واشتد وعظم فى سنة ٤٤٧ / ١٠٥٥ م. وحكى أن السلطان كفن من ماله ثمانين ألف نفس، وأنه فقد ثمانمائة قائد، وحصل للسلطان من المواريث مال جزيل».

---

(١) السامرائى، الكتاب النافع

(٢) شاخت ومايرهوف – كلية الآداب – الجامعة المصرية

(٣) قطاية، الكفاية فى الطب ص ٤٤

(٤) ابن أبى أصيبعة ١٦٧

ويضيف ابن أبى أصيبعة: « وحدثنى أبو عبد الله محمد المالقى الناسخ أن ابن رضوان تغير عقله فى آخر عمره، وكان السبب فى ذلك أنه فى ذلك الغلاء[1] فكان قد أخذ يتيمة رباها وكبرت عنده فلما كان فى بعض الأيام خلا لها الموقع، وكان قد ادخر أشياء نفيسة، ومن الذهب نحو عشرين ألف دينار، فأخذت الجميع وهربت، ولم يظفر منها على خبر، ولا عرف أين توجهت، فتغيرت أحواله من حينئذ».

كانت وفاة ابن رضوان رحمه الله فى سنة ٤٥٣ هـ / ١٠٥٦ م بمصر، وذلك فى خلافة المستنصر بالله أبى تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم[2].

وكما اختلف المؤرخون القدامى والمحدثون فى صفات على بن رضوان، واتخذ كل منهم منحى يختلف عن الآخر فإنهم اختلفوا فى تاريخ ميلاده وعمره وتاريخ وفاته. فيقول لكلرك[3]: « نعتقد أن عليا عاش حوالى ثمانين سنة. وظل فترة طويلة، وخدم الحاكم الذى توفى عام ١٠٢١ م، وفى سيرته الذاتية التى سبقت عام ١٠٥٥م كان عمره ستين عاماً. وأخيرا فإنه عاش أيضاً حتى عام ١٠٦١م، حسب رأى ابن أبى أصيبعة».

ويقول الدكتور سامى حمارنة[4]: «... وقد دأب منذ أن بلغ الثانية والثلاثين حتى صار عمره ستين سنة فى عام ٤٥٩ هـ (مما يدل على أنه ولد حوالى سنة٣٩٩ هـ) على كتابة مذكرة سنوية».

أما ماكس مايرهوف فيقول: « ولد عام ٣٨٨هـ / ٩٩٨ م.. وتوفى حوالى ٤٥٣هـ/١٠٦١م» معنى ذلك أنه عاش ثلاثاً وستين سنة.

ويقول د. قطاية[5]: «فإذا اعتبرنا عام ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م العام الذى فيه بلغ بن رضوان سن الستين استطعنا القول إنه ولد عام ٩٨٦م، فإذا توفى عام ٤٥٣هـ /١٠٦١م معنى ذلك إنه عاش خمساً وسبعون عاماً. بينما يؤكد ابن القفطى[6] إنه توفى عام ٤٦٠ هـ/ ١٠٦٧م، معنى ذلك إنه عاش واحداً وثمانين عاماً.

وعلى وجه العموم فإن أعمار أمثال هذا الطبيب لاتقاس بالسنوات، وإنما بما قدم للعلم والبشرية من مؤلفات علمية. وهى كما سنرى وفيرة وعظيمة.

والعجيب أن السامرائى[7] يبرر خشونة ابن رضوان بقوله: « وقد تكون نشأته الأولى وماقاسى فيها من ضنك العيش، وعصاميته التى رفعته من مرتبة بائعى الخبز إلى رئاسة أطباء مصر جميعاً – قد يكون ذلك ماجعله ميالا إلى النقد والقدح والعنف فى عرض شكوكه واعتراضاته على أنداده ومنافسيه، كما يحتمل أن يكون ابن رضوان متأثراً بقدوته جالينوس الذى كان مغرورا بنفسه خشنًا مع زملائه مما جعله يدرج على ذلك الأسلوب المعيب».

(١) فى الفترة مابين ٤٤٥ هـ/ ١٠٥٣ م و ٤٧٧ هـ / ١٠٥٠ م.

(٢) ابن أبى أصيبعة ١٦٩.

(٣) Leclerc. L. Histoire de la Medicine Arabe. Buston, Franklin, N. Y. 1878 Tome I. P. 525

(٤) حمارنة: فهرس المكتبة الظاهرية للطب والصيدلة ص ٥٦١

(٥) قطاية، الكفاية فى الطب ص ٤٢، على بن رضوان ص ٢٨

(٦) ابن القفطى ص ٢٨٨

(٧) السامرائى، الكتاب النافع ص ١٥

وهـذا الحديث عن ابن رضـوان جاء مكملا لفقرة فى نفس الصفحة التى كتب فيها السـامرائى قائلا: «وكان ابن رضوان ذا مروءة سمحاً فى تعامله مع الناس. كريماً يسعف المحتاجين ولايسترد منهم مايقرضهم مـن المـال. كما كان متديناً بنزعة باطنية. ويكثر من التعبير فـى أوقات فراغه من العمل ولايقرب الخمرة. وهـو عـف اللسـان عن معايب النـاس». وما نتصـور الدكتور السـامرائى فى رأيه الأول فـى ابن رضوان إلا متحمساً يدافع عن ابن بطلان، أو كأنه ابن القفطى يدافع عن ابن بطلان بإفراد صفحات كثيرة لرده على ابن رضوان وتسفيه آرائه.

وإننـا لا نجد حسـماً لهذا الموضوع سـوى الاستشـهاد بما كتبه قطاية[1]: «وهو (يقصد ابن رضوان) إن لم يكن من الأطباء والأوائل فى الرتبة والدرجة أمثال ابن سـينا والرازى وابن النفيس فإنه لاشـك، يأتى بعدهم مباشرة، بالنسبة لمؤلفاته وأعماله ونشاطه. فقد كان أستاذاً، وطبيباً سريرياً ممتازاً، تفهم ما سبقه من الطب، وطبقه بشكل موضوعى علمى دقيق.

وقال: البدن السليم من العيوب هو البدن الصحيح الذى كل واحد من أعضائه باق على فضيلته، أعنى أن يكون يفعل فعله الخاص على ما ينبغى.

وقـال: تعـرف العيوب هو أن تنظر إلى هيئة الأعضاء والسـحنة والمزاج وملمس البشـرة، وتتفقد أفعال الأعضـاء الباطنـة والظاهرة مثـل أن تنادى به من بعيد فتعـتبر بذلك حالة سمعـه، وأن تعتبر بصره بنظر الأشـياء البعيدة والقريبة، ولسانه بجودة الكلام، وقوته بشيل الثقيل والمسك والضبط والمشى وأنحاء ذلك، مثل أن تنظر مشـيه مقبلاً ومدبراً، ويؤمر بالاسـتلقاء على ظهره ممدود اليدين قد نصب رجليه وصفهما، وتعتبر بذلك حال أحشائه وتتعرف حال مزاج قلبه بالنبض وبالأخلاق. ومزاج كبده بالبول وحال الأخلاط، وتعتبر عقله بأن يسـأل عن أشـياء، وفهمه وطاعته بأن يؤمر بأشـياء، وأخلاقه إلى ماتميل بأن تعتبر كل واحد منها بما يحركه أويسكنه. وعلى هذا المثال أجر الحال فى تفقد كل واحد من الأعضاء والأخلاق. أما فيما يمكن ظهوره للحس فلا تقنع فيه حتى تشـاهده بالحس وأما فيما يتعرف بالاسـتدلال مايستدل عليه بالعلامات الخاصة. وأما فيما يتعرف بالمسـألة فابحث عنه بالمسـألة، حتـى تعتبر كل واحد من العيوب فتعرف هل عيب حاضر أو كان أو متوقع، أم الحال حال صحة وسلامة.

إن الطرائـق التـى بينها ابن رضوان، والمعلومات التى يبتغيـها الطبيب باتباع هذه الطرائق، لايمكن أن تقل بحال من الأحوال عما يراه أطباء اليوم من معلومات وبيانات تساعدهم على تشخيص المرض.

ومـن كلام ابـن رضوان قوله: إذا دعيت إلى مريض فأعطه ما لا يضره إلى أن تعرف علته فتعالجها عند ذلـك. ويعنـى معرفـة المرض هو أن تعرف من أى خلط حدث أولا، ثم تعـرف بعد ذلك فى أى عضو هو وعند ذلك تعالجه.

وقبـل أن نسـتعرض المؤلفات الكثـيرة لابن رضوان، نـرى لزاما علينا أن نتوقف عنـد بعض ما قاله ابـن رضـوان عن صناعة الطب، فلا شـك أن بها حكمـا وآراء وأفكار ينبغى على أطبائنـا اليوم تفهمها

(١) قطاية، الكفاية فى الطب ص ٤٥

وتدارســها. ومن الطريف أن تكون هذه الآراء التى يتبناها علماء اليوم فى التعليم الطبى. ويحكى ابن أبى أصيبعة[1]:

ومن كلامه (أى كلام ابن رضوان) نقلته من خطه قال:

«الطبيب على رأى أبقراط هو الذى اجتمعت فيه سبع خصال :

الأولى: أن يكون تام الخلق صحيح الأعضاء، حسن الذكاء، جيد الروية عاملا ذكورا خير الطبع.

الثانية: أن يكون حسن الملبس طيب الرائحة نظيف البدن والثوب.

الثالثة: أن يكون كتوما لأسرار المرضى لايبوح بشىء من أمراضهم.

الرابعة: أن تكون رغبته فى علاج الفقراء أكثر من رغبته فى علاج الأغنياء.

الخامسة: أن يكون حريصاً على التعليم والمبالغة فى منافع الناس.

السادسة: أن يكون سليم القلب عفيف النظر صادق اللهجة لايخطر بباله شىء من أمور النساء، والأموال التى شاهدها فى منازل الأعلاء، فضلا عن أن يتعرض إلى شىء منها.

السابعة: أن يكون مأمونا ثقة على الأرواح والأموال، لايصف دواء قتالا ولايعلمه ولاداء يسقط الأجنة، يعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حبيبه.

وقــال: المعلــم لصناعة الطب هو الذى اجتمعت فيه هذه الخصال بعد اســتكمال صناعة الطب، والمتعلم لها هو الذى فراســته تدل على أنه ذو طبع خير، ونفس ذكية، وأن يكون حريصاًعلى التعليم ذكيا ذكورا لما قد تعلمه.

وقد اهتم ابن رضوان بالبحث فى موضوع تعليم الطب، واستقصى تاريخه وتطوره منذ أقدم الأزمان، وله فى ذلك ثلاثة كتب، نشر الدكتور السامرائى إحداها، وهو الكتاب النافع فى كيفية تعلم صناعة الطب[1]. ويبين الســامرائى أن حرص ابن رضوان على البحث فى موضوع تعليم الطب بســبب ماعاناه هو نفسه فى تعلم هذه الصناعة، وما لمسه فى محتويات من كان يعلمها. ولما كان ابن رضوان عصامياً فى تكوين شخصيته العلميــة الناجحــة التى اعتمد فيها على قراءة كتب الطب لا على دروس شــيوخه، فقد دعا إلى تعلم هذه الصناعة بالطريقة التى درج عليها هو نفسه.

أما عن مؤلفات ابن رضوان فقد لقيت من المؤرخين والباحثين مثلما لقيت ســيرته من التضارب بينهم الكثــير، فبينمــا يذكر ابن القفطى لــه كتابين فقط[2]، وذكر ابن أبى أصيبعة ما ينوف عن المائة[3] ويســرد د. قطاية[4] مؤلفات ابن رضوان التى زاد عددها عن ١٠٥، ويعددها ويوضح «قطاية» وجودها، أما الدكتور السامرائى[5] فيكتفى بقوله: إن ابن رضوان مكثر فى تأليف الكتب، وله منها قرابة مائة كتاب، أما دكتورة

(١) ابن أبى أصيبعة ٣ /١٧٠

(١) السامرائى، الكتاب النافع، بغداد ١٩٨٦، ١٧٢ صفحة

(٢) ابن القفطى ص ٢٨٨

(٣) ابن أبى أصيبعة ٣ /١٧١ - ١٧٤

(٤) قطاية، الكفاية فى الطب وعلى بن رضوان ص ٣٤- ٤١

(٥) السامرائى، الكتاب النافع ص ١٩

رمزية الأطرقجي[1] فتذكر ان لابن رضوان مؤلفات تربو على السبعين كتاباً وتعدد ٦٣ منها. ولعل القائمة التى أوردها الدكتور قطاية تعد أكمل قائمة[2]، وهو نفسه ذكر أنها أصلا من كتاب أبى أصيبعة وقد أخذها ماكس مايرهوف[3] ودققها. وسننقلها هنا لاعتقادنا أنها أطول قائمة لكتب ومقالات ابن رضوان. على النحو الآتى:

١- شرح كتاب الفرق لجالينوس. وفرغ من شرحه له فى يوم الخميس لليلتين بقيتا من ذى الحجة سنة ٤٣٢ هـ (٢٧ أغسطس آب ١٠٤١ م). وهو موجود فى مكتبة الأسكوريال تحت رقم ٨٤٧.

٢- شرح كتاب الصناعة الصغيرة لجالينوس، وهو موجود فى مكتبة الأسكوريال تحت رقم ٨٧٤، ومطبوع فى ترجمته اللاتينية والعبرية.

٣- شرح كتاب النبض الصغير لجالينوس.

٤- شرح كتاب جالينوس إلى أغلوقن فى التأنى لشفاء الأمراض وهو موجود فى مكتبة الأسكوريال تحت رقم ٧٩٩ و٨٧٧ .

٥- شرح المقالة الأولى فى خمس مقالات.

٦- شرح المقالة الثانية فى مقالتين.

٧- شرح كتاب الاسطقسات لجالينوس. وهو موجود فى ترجمته العبرية فقط.

٨- شرح بعض كتاب المزاج لجالينوس ولم يشرح من الكتب الستة عشر لجالينوس سوى ماذكرت.

٩- كتاب الأصول فى الطب، أربع مقالات، كناش[4] وهو موجود فى ترجمته العبرية فقط.

١٠- رسالة فى علاج الجذام.

١١- كتاب تتبع مسائل حنين، مقالتان.

١٢- كتاب النافع فى كيفية تعليم صناعة الطب ثلاث مقالات.

وقد عثر حتى الآن على مقالتين فقط، ولا يعرف مكان الثالثة، وقام بنشر الكتاب (المقالتين) الدكتور السامرائى عام ١٩٨٦[5] فى بغداد. وقد سبق أن حاول الأستاذ «أربرى» ان يطبع الكتاب بتقريب النسختين الموجودتين، وإحدهما فى دار الكتب المصرية برقم ٤٨٣ طب، بها المقالة الثانية. ولكن أربرى لم يفلح.

وفى هذا الكتاب مجموعة من معلومات تاريخية وعلمية فى الطب، ومن مارسه، وفى أسلوب تعليمه منذ عرفت هذه الصناعة عند اليونانيين إلى أيام ابن رضوان فى منتصف القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى.

---

(١) الأطرقجى، دفع مضار الأبدان ص ٦ لابن رضوان

(٢) قطاية، الكفاية فى الطب ٥، على بن رضوان ص ٣٤ - ٤١

(٣) مايرهوف وشاخت ١٩٣٧

(٤) الكناش : أوراق تجعل كالدفتر يقيد فيها الفوائد والشوارد (تاج العروس ٣٤٧/٤)، والكلمة آرامية مشتقة من الفعل كنش أى كنس، وتستعمل فى الطب بمعنى كتاب مختصر فى معارف هذه الصناعة وتجمع كناشات وكنانيش.

(٥) السامرائى، الكتاب النافع فى كيفية تعليم صناعة الطب. بغداد ١٩٨٦

١٣- كتاب فى أن جالينوس لم يغلط فى أقاويله فى اللبن على ما ظنه قوم، ويوجد فى مكتبة جوته فى ألمانيا الشرقية تحت رقم ٢٠١٥ -٥ .

١٤- مقالة فى دفع المضار عن الأبدان بمصر، وإن كانت ذكرت تحت اسم : مقالة فى دفع مضار الأبدان عن أرض مصر، وإن كان العنوان فى النسخ التى حققتها الدكتورة رمزية الأطرقجى[1] هو «دفع مضار الأبدان بأرض مصر» وقد حققتها عن نسختين الأولى نسخة فى المتحف العراقى تحت رقم ٢٠٤٢، والثانية نسخة دار الكتب المصرية المرقمة ٣٦ طب ف ٤٣٧. والكتاب من المؤلفات القيمة فى الطب الجغرافى أو الجغرافيا الطبية. وكيفية معالجة الأمراض، ودفع مضارها وقد أخذ كثير من العلماء عنه، مثل المقريزى فى كتابه «المواعظ والاعتبار»، المعروف بالخطط المقريزية، وابن إياس فى كتابه «بدائع الزهور فى وقائع الدهور». ويقع الكتاب فى خمسة عشر فصلا.

١٥- مقالة فى سيرته.

١٦- مقالة فى الشعير وما يعمل منه، ألفها لأبى زكريا يهوذ ابن سعادة الطيب. وهو طبيب غير معروف. وهو موجود بمكتبة جوته فى ألمانيا الشرقية تحت رقم ٢٠٠٥ - ٨.

١٧- جوابه فى سائل لبن الأتن، سأله اياها يهوذ ابن سعادة.

١٨- تعاليق طبية، وتوجد عدة تعاليق طبية لابن رضوان فى مكتبة جوته مخطوطة تحت رقم ٢٠١٥.

١٩- تعاليق طبية نقلها من صيدلة الطب.

٢٠- مقالة فى مذهب أبقراط فى تعليم الطب.

٢١- كتاب فى أن أفضل أحوال عبد الله الطيب الحالى السوفسطائية، وهو خمس مقالات.

٢٢- كتاب فى أن الأشخاص كل واحد من الأنواع المتناسلة أب أول منه تناسلت الأشخاص على مذهب الفلسفة.

٢٣- تفسير مقالة الحكيم فيثاغورس فى الفضيلة.

٢٤- مقالة فى الرد على افرائيم وابن زرعة فى الاختلاف فى الملل (افرائيم أحد تلاميذ ابن رضوان وسيأتى ذكره فيما بعد).

٢٥- انتزاعات شروح جالينوس لكتب أبقراط.

٢٦- كتاب الانتصار لأرسطوطاليس، وهو كتاب التوسيط بينه وبين خصومه المناقضين له فى السماع الطبيعى تسع وثلاثين مقالة. وقد رد موفق الدين البغدادى بمقالة يرد فيها على ابن رضوان المصرى فى اختلاف جالينوس وأرسطوطاليس.

٢٧- تفسير ناموس الطب لأبقراط.

٢٨- تفسير وصية أبقراط المعروفة بترتيب الطب.

٢٩- كلام فى الأدوية المسهلة.

(١) الدكتورة رمزية الأطرقجى، رسالة فى الحيلة فى دفع مضار الأبدان بأرض مصر ١٩٨٨، ابن رضوان الطبيب.

٣٠- كتاب فى عمل الأشربه والمعاجين، وهو موجود فى المكتبة البودلية بأكسفورد تحت الرقم٩٤١-٨.

٣١- تعليق من كتاب التميمى فى الأغذية والأدوية (ورد ذكر التميمى فى كتابنا الحالى).

٣٢- تعليق من كتاب فوسيدونيوس Posidonius فى أشربة لذيذة للأصحاء.

٣٣- فوائد علقها كتاب فيلغريوس فى الأشربة النافعة اللذيذة فى أوقات المرض، Philagrius طبيب يونانى من القرن الأول قبل الميلاد.

٣٤- مقالة فى الباه.

٣٥- مقالة فى أن كل واحد من الأعضاء يتغذى من الخلط المشاكل له.

٣٦- مقالة فى الطريق إلى إحصاء عدد الحميات.

٣٧- فصل فى كلامه فى القوى الطبيعية.

٣٨- جواب مسائل فى النبض وصل إليه السؤال عنها من الشام.

٣٩- رسالة فى أجوبة سأل عنها الشيخ أبو الطيب أزهر بن النعمان فى الأورام.

٤٠- رسالة فى علاج صبى أصابه المرض المسمى بداء الفيل وداء الأسد.

٤١- نسخة من الدستور الذى أنفذه أبو العسكر بن معدان ملك مكران (عاش خلال القرن الحادى عشر الميلادى وكان تابعاً للغزنونين) فى حالة علة الفالج فى شقه الأيسر،وجواب ابن رضوان له.

٤٢- فوائد علقها من كتاب حيلة البرء لجالينوس Methodus Medeni

٤٣- فوائد علقها من كتاب تدبير الصحة لجالينوس.

٤٤- فوائد علقها من كتاب فى الكثرة لجالنوس De Plentidus

٤٥- فوائد علقها من كتاب القصد لجالينوس.

٤٦- فوائد علقها من كتاب الأدوية المفردة لجالينوس.

٤٧ - فوائد علقها من كتاب اليامر لجالينوس

De Compositome Medicamentorum Secondomlogos

٤٨- فوائد علقها من كتاب قاطاجانس لجالينوس Katagene

٤٩- فوائد علقها من كتاب فى الأخلاط من عدة كتب لأبقراط وجالينوس.

٥٠- كتاب فى حل شكوك الرازى على كتب جالينوس، سبع مقالات.

٥١- مقالة فى حفظ الصحة.

٥٢- مقالة فى أدوار الحميات، وهو موجود فى مكتبة جوته رقم ٢٠١٥ - ١٣.

٥٣- مقالة فى التنفس الشديد، وهو ضيق التنفس.

٥٤- رسالة كتب بها إلى أبى زكريا يهوذا بن سعادة فى النظام الذى استعمله جالينوس فى تحليل الحد فى كتابه المسمى الصناعة الصغيرة Ars Parna Microtegni.

٥٥- مقالة فى نقض مقالة ابن بطلان الفرخ والفروج.

٥٦- مقالة فى الفأر .

٥٧- مقالة فيما أورده ابن بطلان من التحييرات.

٥٨- مقالة فى أن ماجهله يقين وحكمة، وما علم ابن بطلان غلط وسفسطة.

٥٩- مقالة فى أن ابن بطلان لايعلم كلامه نفسه فضلا عن كلام غيره.

٦٠- رسالة إلى أطباء مصر والقاهرة فى ابن بطلان.

٦١- قوله فى جملة الرد عليه (ابن بطلان).

٦٢- كتاب فى مسائل جرت بينه وبين ابن الهيثم فى المجرة والمكان.

٦٣- اخراجه لحواش كامل الصناعة الطبية الموجود منه بعض الأولى. وكامل الصناعة الطبية هو كتاب على بن عباس، وقد طبع فى بولاق عام ١٨٧٧م.

٦٤- رسالة فى أزمنة الأمراض.

٦٥- مقالة فى التطرق بالطب إلى السعادة، ويقول عنه الدكتور قطاية أنه موجود فى المكتبة المصرية بالقاهرة وربما كان مماثلا مع رقم ١٥ أو ٧٢ حسب رأى مايرهوف. وقد حققه الدكتور قطاية ونشره فى مجلة تاريخ العلوم العربية – جامعة حلب، مجلد ٢، عدد ٥٢.

٦٦- مقالة فى أسباب مدد الحميات الأخلاط وقرائنها.

٦٧- جوابه عما شرح له من حال عليل به علة الفالج فى شقه الأيسر وربما كانت الرسالة رقم ٤١ نفسها حسب رأى مايرهوف.

٦٨- مقالة فى الأورام، ويحتمل أن تكون مماثلة لرقم ٣٩.

٦٩- كتاب فى الأدوية المفردة على حروف المعجم اثنتا عشر مقالة الموجودة منه إلى بعض السادسة.

٧٠- مقالة فى شرف الطب.

٧١- رسالة فى الكون والفساد.

٧٢- مقالة فى سبيل السعادة وهى السيرة التى اختارها لنفسه، وربما كانت هى أيضاً رقم ١٥و٦٥و٦٧و٩٣ حسب رأى مايرهوف.

٧٣- رسالة فى بقاء النفس بعد الموت، وربما كانت هى ٧٥ أيضاً.

٧٤- مقالة فى فضيلة الفلسفة.

٧٥- مقالة فى بقاء النفس على رأى أفلاطون وأرسطوطاليس، وربما كانت هى رقم ٧٣.

٧٦- أجوبته لمسائل منطقية من كتاب القياس، ربما كانت هى رقم ٩١ وأيضًا «ثلاث مقالات فى المنطق»، وهما مخطوطا الأسكوريال رقم ٧٩٩ ورقم ٨٧٧، وفقاً لرأى د.قطاية.

٧٧- مقالة فى حل شكوك يحيى بن عدنى المسماة بالمحروسات. (وهو فيلسوف مسيحى تتلمذ على الفارابى وتوفى فى بغداد عام ٣٦٤ هـ / ٩٧٤ م).

٧٨- مقالة فى الحر.

٧٩- مقالة فى بعث نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة والفلسفة.
٨٠- مقالة فى أن الوجود نقط وخطوط طبيعية.
٨١- مقالة فى حدث العالم وتوجد فى المكتبة البريطانية تحت رقم ٤٢٦ -٢٠.
٨٢- مقالة فى التنبيه على حيل من ينتحل صناعة القضايا بالنجوم وتشرف أهلها.
٨٣- مقالة فى خلط الضرورى والوجودى.
٨٤- مقالة فى اكتساب الحلال من المال.
٨٥- مقالة فى الفرق بين الفاضل من الناس والسديد والعطب وربما كانت موجهة ضد ابن بطلان كما يتبين من كلامه فى الرسالة الرابعة.
٨٦- مقالة فى كل السياسة لأرسطوطاليس.
٨٧- رسالة فى السعادة، وهى شبيهة برقم ٧٢ ورقم ٩٣.
٨٨- رسالته فى اعتذاره عما ناقض به المحدثين.
٨٩- مقالة فى توحيد الفلاسفة وعبادتهم.
٩٠- كتاب فى الرد على الرازى فى العلم الإلهى وإثبات الرسل.
٩١- كتاب المستعمل فى المنطق من العلوم والصنائع، ثلاث مقالات.
٩٢- رسالة صغرى فى الهيولى، صنفها لأبى سليمان بن بابشاد، وهو عسكرى توفى بالقاهرة عام ٤٦٩ هـ/ ١٠٧٦ م، ويقول قطاية : لعلها مشابهة للتى أوردها بروكلمان حـ١، ص ٣٠١.
٩٣- تذكرتاه المسميتان بالكمال الكامل والسعادة القصوى، غير كاملة.
٩٤- تعاليق لفوائد كتب أفلاطون المساجرة لهوية طبيعة الإنسان.
٩٥- تعاليق فوائد مدخل فرفوريوس[1].
٩٦- تهذيب كتاب الحابس فى رياسة الثنا الموجود منه البعض لاكل.
٩٧ - تعاليق فى أن خط الاستواء بالطبع أظلم ليلاً، وأن جوهره بالعرض أظلم ليلاً.
٩٨- كتاب فيما ينبغى أن يكون فى حانوت الطبيب، أربع مقالات.
٩٩- مقالته فى هواء مصر، ويقول د. قطاية: ربما كان الفصل الثانى من كتابه « دفع مضار الأبدان عن أرض مصر».
١٠٠-مقالته فى مزاج السكر، وهى موجودة فى مكتبة جوته برقم ٢٠١٥ -١١.
١٠١-مقالته فى التنبيه على مافى كلام ابن بطلان من الهذيان.
١٠٢-رسالة فى دفع مضار الحلوى بالمحرور.
١٠٣-شرح كتاب المربعة لبطليموسQuadripartitum de Ptolemme الذى ذكره ابن القفطى فى سيرة ابن رضوان.

(١) وهو كتاب ايسا جوجى Isagoge تأليف Porhyr وهو فيلسوف عاش فى القرن الثالث بعد الميلاد ومن المترجمة الأفلاطونية الجديدة وكان كتابه المدخل إلى طيقات أرسطوطاليس شهيراً خلال العصور الوسطى

١٠٤-كفاية الطبيب فيما صح لدى من التجاريب، ويوجد فى مكتبة جوته تحت رقم ١٩٥٢-١ وقد حققه وتشره الدكتور سلمان قطاية، تحت عنوان : كتاب الكفاية فى الطب المنسوب لعلى بن رضوان، ونشر سنة ١٩٨١ فى بغداد[١]، ويقدم الكتاب مختصراً جيداً وكافياً للطبيب من الناحية العملية وللطب العربى فى ذلك الزمان.

١٠٥-فيما يجب على الرئيس الفاضل من مصالح بدنه وأدب لبيبه وقهرمانه، موجود فى مكتبة جوته تحت الرقم ٢٠١٥ - ٣.

وقد أشار ابن أبى أصيبعة فى حديثه عن ابن بطلان إلى مقالة ابن رضوان يبين فيها أن الطبيب الفاضل لايجب أن يكون وجهه جميلاً.

وذكر الدكتور قطاية أنه يوجد كتابان صغيران لابن رضوان فى اللاتينية بينما فقد الأصل العربى لهما: أحدهما عن أشعة الضوء، والثانى عن الولادات الثلاث De Tribus Nativitatus

المبشر بن فاتك

ت حوالى ٥٠٠ هـ/ ١١٠٦ م

ت سنة ٤٨٠ هـ[٢]

هو الأمير محمود الدولة أبو الوفاء المبشر بن فاتك الأمدى أصله من دمشق، وموطنه مصر، وهو من أعيان أمراء مصر، وأفاضل علمائها، دائم الاشتغال، محب للفضائل والاجتماع بأهلها ومباحثتهم، والانتفاع بما يقتبسه من جهتهم. وقد استقر بمصر فى أيام دولة الظاهر والمستنصر الفاطمى (المتوفى ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧م). وقد اجتمع بأبى على الحسن بن الهيثم، وبالشيخ أبى الحسين المعروف بابن الأمدى. كما لازم أبا الحسن على بن رضوان الطبيب (ت ٤٥٣ هـ/ ١٠٦١ م).

ويذكر ابن أبى أصيبعة[٣] أن الشيخ سديد الدين المنطقى بمصر حدثه فقال له: كان الأمير ابن فاتك محباً لتحصيل العلوم، وكانت له خزائن كتب، فكان فى أكثر أوقاته إذا نزل من الركوب لا يفارقها، وليس له دأب إلا المطالعة والكتابة، ويرى إن ذلك أهم ما عنده. وكانت له زوجة كبيرة القدر أيضاً من أرباب الدولة، فلما توفى إلى رحمة الله نهضت هى وجوار لها فجعلت تندبه، وفى أثناء ذلك ترمى الكتب فى بركة ماء كبيرة فى وسط الدار هى وجواريها. وثم شيلت الكتب بعد ذلك من الماء وقد غرق أكثرها، فهذا سبب إن كتب المبشر بن فاتك يوجد كثير منها وهو بهذه الحال. وكان من جملة تلاميذ المبشر بن فاتك

(١) سلسة كتاب التراث، منشورات وزارة الثقافة والأعلام - العراق

(٢) هداية العارفين ٢ /٤

(٣) ابن أبى أصيبعة، ٣ / ١٦٢ - ١٦٣

والآخذيـن عنه: أبو الخير سـلامه بن مبارك بن رحمـون[1] (توفى فى حدود ٥١٦ هـ)، حيث أخذ عنه شيئاً من صناعة المنطق.

وكان لمبشر بن فاتك ابنة عمرت بعده، وروت بالإسكندرية أحاديث نبوية[2].

وللمبشر بن فاتك من الكتب :

١- كتاب الوصايا والأمثال.

٢- كتاب الموجز من محكم الأقوال.

٣- كتاب مختار الحكم ومحاسن الكلم. ومخطوطاته فى لايدن والمتحف البريطانى وبرلين وأحمد الثالث. حققها ونشـرها عبد الرحمن بدوى بمدريد سـنة ١٩٥٨ م. ويحتوى الكتاب على تراجم وحكم بعض الأنبيـاء وكثير من العلماء والحكماء اليونانيين القدماء، وعلى أكثر من خمس عشـرة حكمة من حكماء اليونان اللاحقين.

وقد أورد ابن أبى أصيبعة ما ذكره الأمير المبشر بن فاتك عن فيثاغورس وسقراط وجالينوس وغيرهم فى كتاب عيون الأنباء. وفيها فسر المبشر بن فاتك عدداً كبيراً من معانى الكلمات الإغريقية التى كانت تطلق كأسماء على الحكماء والفلاسفة.

٤- كتاب البداية فى المنطق.

٥- كتاب فى الطب.

٦- كتـاب التنبيـه والتبيين لصالح الدنيـا والدين، وهو مختصر على ثلاثين بابا، جمـع من ألفاظ نبوية وكلمات حكمية وأشعار ورتبها على أوائل حروفها[3].

اسحق بن يونس

كان طبيباً عالماً بالصناعة الطبية، عارفاً بالعلوم الحكمية، جيد الدراية حسن العلاج. قرأ الحكمة على ابن السمح، وكان مقيماً بمصر[4].

---

(١) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٦٣، ابن القفطى ص ١٤٢

(٢) ابن القفطى ص ١٧٧

(٣) كشف الظنون ص ٤٩٣

(٤) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٦٣ - ١٦٤

أفرائيم بن الزفان

كان حياً سنة ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م

هـو أبو كثير أفرائيم بن الحسـن بن اسـحق بن إبراهيم بن يعقوبإسـرائيلى المذهـب، وهو من الأطباء المشهورين بديار مصر[١]، وخدم الخلفاء الذين كان فى زمانهم، وحصل من جهتهم من الأموال والنعم شيئاً كثيراً جداً، وكان قد قرأ صناعة الطب على أبى الحسن على بن رضوان، وهو من أجل تلامذته. وكانت له همة عالية فى تحصيل الكتب، وفى استنساخها حتى كانت عنده خزائن كثيرة من الكتب الطبية وغيرها. وكان عنده النساخ يكتبون ولهم ما يقومون بكفايتهم منه. ومن جملتهم محمد بن سعيد بن هشام الحجرى، وهو المعروف بابن ملساقة، ويقول ابن أبى أصيبعة أنه وجد بخط ابن ملساقة عدة كتب قد كتبها لإفرائيم وعليها خط أفرائيم.

ويحكى ابن أبى أصيبعة أن أباه حدثه فقال: أن رجلا من العراق كان قد أتى إلى الديار المصرية ليشترى كتباً ويتوجـه بها. وأنه اجتمع مع أفرائيم واتفق الحـال فيما بينهم أن باعه افرائيم من الكتب التى عنده عشـرة آلاف مجلـد، وكان ذلك فى أيام ولاية الأفضل ابن أمـير الجيوش[٢]، فلما سمع بذلك أراد أن تلك الكتـب تبقى فى الديار المصرية، ولا تنتقـل إلى موضع آخر، فبعث إلى أفرائيم من عنده بجملة المال الذى كان قد اتفق تثمينه بين أفرائيم والعراقى، ونقلت الكتب إلى خزانة الأفضـل، وكتبت عليها ألقاب، ويؤكد ابـن أبـى أصيبعة أنه وجد كتبـاً كثيرة من الكتب الطبية وغيرها عليها اسـم أفرائيـم، وألقاب الأفضل أيضا.

ومن تلاميذه سلامه بن رحمون، وهو يهودى، وقد ورد ذكرهما فى كتاب مايرهوف المعنون:

Mediveal Jewish Physicians in the Near East from Arabic Sources.

ولأفرائيم بن الزفان من الكتب :

١- تعاليق ومجربات جعلها على جهة الكناش. ووجد ابن أبى أصيبعة كتابه هذا بخطه، وقد اسـتقصى فيه ذكر الأمراض ومداواتها، وقد ذكر فى أوله ماهذا نصه، قال : أقول وأنا أفرائيم: إننى جعلت هذا الكتاب تذكره على طريق المجموع، لا على جهة التصنيف احتياطياً على من يعالج من السهو.

٢- كتاب التذكرة الطبية فى مصلحة الأحوال البدنية، ألفه لنصر الدولة أبى الحسن بن أبى على الحسن ابن حمدان، لما أراد الانفصال عن مصر، والتوجه إلى ثغر الإسكندرية والبحيرة وتلك الأعمال.

٣- مقالة فى التقرير القياسى على أن البلغم يكثر تولده فى الصيف، والدم والمرار الأصفر فى الشتاء.

---

(١) ابن أبى أصيبعة ٣ /١٧٤ - ١٧٥

(٢) هو أبو القاسم شاهنشاه الملقب الملك الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالى وصل القاهرة من عكا فى جمادى الأولى، وقيل الآخرة سنة ٤٦٦ هـ. فولاه المستنصر تدبير أموره. وتوفى سنة ٤٨٨هـ (وفيات الأعيان ٢ / ٤٤٨)

سلامة بن رحمون

عاش فى نهاية القرن الخامس الهجرى

مات فى حدود سنة ٥٣٠ هـ[1]

هو أبو الخير سلامة بن مبارك بن رحمون بن موسى، من أطباء مصر وفضلائها، وكان يهودياً، وله أعمال حسنة فى صناعة الطب، واطلع على كتب جالينوس، وقام بالبحث عن غوامضها، وكان قد قرأ صناعة الطب على أفرائيم بن الزفان (قد مر ذلك) واشتغل بها عليه مدة. وكان لابن رحمون أيضاً اشتغال جيد بالمنطق والعلوم الحكيمة، وله فى ذلك تصانيف. وكان شيخه الذى اشتغل عليه بهذا الفن الأمير أبو الوفاء محمود الدولة المبشر بن فاتك.

ولما وصل أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت الأندلسى[2] من المغرب إلى الديار المصرية، اجتمع بسلامة بن رحمون، وجرت بينهما مباحث ومشاغبات. وقد ذكره ابن أبى الصلت فى رسالته المصرية عندما ذكر من رآه من أطباء مصر. وقد هجا ابن أبى الصلت سلامة بن رحمون، فيقول:

« ثم نصب نفسه لتدريس جميع كتب المنطق وجميع كتب الفلسفة الطبيعية والهيئة، وشرح برعمه وفسر ولخص ولم يكن هناك فى تحصيله وتحقيقه واستقصائه عن لطيف العلم ودقيقه، بل كان يكثر كلامه فيضل، ويسرع جوابه فيزل، ولقد سألته أول لقائى له واجتماعى به عن مسائل استفتحت مباحثه بها يمكن أن يفهمها من لم يكن يعتد فى العلم باعه، ولم يكثر تبحره واتساعه، فأجاب عنها بما أبان عن تقصيره ونطق بعجزه، وأعرب عن سوء تصوره وفهمه، وكان مثله فى عظم دواعيه وقصوره عن أيسر ماهو متعاطيه كقول الشاعر (المتقارب):

يشمر للج عن ساقه ... ويغمره الموج فى الساحل

أو كما قال الآخر (المتقارب) :

تمنيتم مائتى فارس ... فردكم فارس واحد

كما أنشد ابن أبى الصلت (السريع) :

أن أبا الخير على جهله ... يخف فى كفته الفاضل

عليه المسكين من شؤمه ... فى بحر هلك ماله ساحل

ثلاثة تدخل فى دفعة ... طلعته والنعش والغاسل

---

(١) البغدادى هداية العارفين ١ / ٣٩٤

(٢) أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت الأندلسى الدانى، ولد فى دانية من بلاد الأندلس سنة ٤٦٦ هـ وأخذ العلم عن جماعة الأندلس، وانتقل إلى الإسكندرية سنة ٤٨٩ هـ ونفاذ الأفضل شاهنشاه من مصر فى سنة ٥٠٥ هـ ثم سافر فى سنة ٥٠٦ هـ إلى المهدية وتوفى بها سنة ٥٢٩ هـ وقيل ٥٢٨ هـ وصنف أمية وهو فى اعتقال الأفضل بمصر رسالة العمل بالأسطرلاب، « وكتاب الوجيزه فى علم الهيئة وكتاب والأدوية المفردة، وكتاباً فى المنطق سماه «تقويم الذهن» وكتاباً سماه « الانتصار فى الرد على بن رضوان».

ويذكر ابن أبي أصيبعة كتب سلامة بن رحمون :

١- كتاب نظام الموجودات.

٢- مقالة فى السبب الموجب لقلة المطر فى مصر.

٣- مقالة فى العلم الإلهى.

٤- مقالة فى خصب أيدان النساء بمصر عند تناهى الشباب.

يوسف بن أحمد بن حداى

أندلسى الأصل، استوطن مصر فى أيام الحاكم بأمر الله الفاطمى (٤٩٥ -٥٢٤ هـ/ ١١٠١ - ١١٣٠م) وكانت ثقافته يونانية على كتب أبقراط وجالينوس، وله:

١- الشرح المأمونى لكتاب الإيمان لأبقراط - وضعه للوزير الآمر المأمون محمد بن نور الدولة.

٢- شرح المقالة الأولى من كتاب الفصول لأبقراط.

٣- فوائد استخرجها وهذبها من شرح ابن رضوان لكتاب جالينوس إلى أغلوقن[1].

شبرماه الديملى الطبيب

كان طبيباً للحافظ لدين الله الفاطمى (ت جمادى الثانية ٥٤٤ هـ/١١٤٩ م)[2] قيل: إن الحافظ كان يشتكى بألم القولنج فصنع له الحكيم شبرماه طبل باز من المعادن السبعة وهو مرصود فى وقت معلوم فكان من خاصة هذا الطبل إذا ضرب عليه خرج منه ريح، وهذه الفائدة كانت لدفع القولنج. وكان الحافظ يعتريه هذا المرض، فصنع له هذا الطبل بسبب القولنج، قيل لما ملك صلاح الدين يوسف بن أيوب أمر الديار المصرية استعرض حواصل الخلفاء الفاطمية، فوجد ذلك الطبل فى علبة الأكراد وضرب عليه فخرج منه ريح فحنق من ذلك ورمى الطبل من يده على الأرض فكسر، فبطل فعله من حينئذ، فندم على كسره صلاح الدين يوسف غاية الندم[3].

مبارك بن سلامة بن رحمون

هو مبارك بن أبى الخير سلامة بن مبارك بن رحمون، مولده ومنشؤه بمصر، وكان طبيباً فاضلاً، وله من الكتب : مقالة فى الجمرة المسماة بالشقفة والخزقة مختصرة[4].

(١) السامرائى ٢ / ٥٥٨

(٢) الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد، بويع للخلافة فى ٥٢٤ هـ/ ١١٣٠ م

(٣) أحمد عيسى، معجم الأطباء ٢١٥، ابن اياس ١ / ٦٤

(٤) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٧٧

ابن العين زربى

ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م

هو الشيخ موفق الدين أبو نصر عدنان بن نصر بن منصور من أهل عين زربة[١] وأقام ببغداد مدة، واشتغل بصناعة الطب والعلوم الحكيمة، ومهر فيها وخصوصاً فى علم النجوم. ثم انتقل بعد ذلك إلى الديار المصرية، وبقى فيها إلى حين وفاته، وخدم الخلفاء الفاطميين وحظى فى أيامهم، وتميز فى دولتهم، وعاش زمن الظافر بأمر الله[٢].

وكان من أجل المشايخ وأكثرهم علماً فى صناعة الطب. وكانت له فراسة حسنة وإنذارات صائبة فى معالجاته، وصنف بديار مصر كتباً كثيرة فى صناعة الطب، وفى المنطق وفى غير ذلك من العلوم، وكان له تلاميذ عديدون يشتغلون عليه، وكل منهم تميز وبرع فى الصناعة وكان ابن العين زربى فى أول أمره إنما يتكسب بالتنجيم[٣].

ويقول ابن أبى أصيبعة: وكان ابن العين زربى خبيراً بالعربية، جيد الدراية بها حسن الخط، وقد رأيت كتباً عديدة فى الطب بخطه، هى فى نهاية الحسن والجودة، ولزوم الطريقة المنسوبة، وكان أيضاً يشعر، وله شعر جيد.

وتوفى ابن العين زربى فى سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣م بالقاهرة وذلك فى دولة الظافر بأمر الله.

ويقول ابن أبى أصيبعة: فحدثنى أبى قال: حكى لى سبط الشيخ أبى نصر عدنان بن العين زربى: أن سبب اشتهار جده فى الديار المصرية، واتصاله بالخلفاء أنه ورد من بغداد رسول إلى ديار مصر، وكان يعرف ابن العين زربى ببغداد وماهو عليه من الفضل والتحصيل والإتقان لكثير من العلوم، فلما كان ماراً فى بعض الطرق بالقاهرة، وإذ به قد وجد ابن العين زربى جالساً وهو يتكسب بالتنجيم فعرفه وسلم عليه، وبقى متعجباً من كثرة تحصيله للعلوم، وكونه متميزاً فى علم صناعة الطب، وهو على تلك الحال، وبقى فى خاطره ذلك. فلما اجتمع بالوزير وتحدثا أجرى ذكر ابن العين زربى، وما هو عليه من العلم والفضل والتقدم فى صناعة الطب وغيرها. وكونهم لم يعرفوا قدره ولا انتهى إليهم أمره، وأن الواجب فى مثل هذا لا يهمل، فاشتاق الوزير إلى رؤيته والاجتماع بمشاهدته فاستحضره، وسمع كلامه فأعجب به واستحسن

(١) مدينة فى جنوب وسط آسيا الصغرى

(٢) أبو المنصور إسماعيل الملقب بالظافر ابن الحافظ محمد بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدى، ويعرف بالظاهر العبيدى، ولد بالقاهرة سنة ٥٢٧ هـ وقتل فى منتصف المحرم سنة ٥٤٩هـ، وفيات الاعيان.

(٣) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٧٨

مـا سمعـه منه، وتحقق فضله ومنزلته فى العلم، وأنهـى أمره إلى الخليفة فأطلق له مايليق بمثله، ولم تزل أنعامهم تصل إليه ومواهبهم تتوالى عليه.

ولابن العين زربى من الكتب :

١- كتـاب الكافـى فى الطب، وصنفه فى سـنة ٥١٠ هـ بمصر، وكمل فى السـادس والعشـرين من ذى القعدة سـنة ٥٤٧ هـ. ومنه نسخ بالظاهرية بدمشـق، ودار الكتب المصرية والأوقاف بالموصل والتحف العراقى.

٢- شرح كتاب الصناعة الصغيرة لجالينوس.

٣- الرسالة المقنعة فى المنطق، ألفها من كلام أبى نصر الفارابى والرئيس ابن سينا.

٤- مجربـات فـى الطب على جهـة الكناش، جمعها ورتبهـا ظاهر بن تميم بمصر بعد وفـاة ابن العين زربى.

٥- رسالة فى السياسة.

٦- رسالة فى تعذر وجود الطبيب الفاضل ونفاق الجاهل.

٧- مقالة فى الحصى وعلاجه.

٨- رسالة فى مرض الشقيقة، يوجد منها نسخة فى دار الكتب المصرية[1].

ومن تلاميذ ابن العين زربى، الشـيخ السـديد رئيس الطب وبلمظفر بن معرف، وسـيأتى ذكرهما بعد ذلك.

بلمظفر بن معرف

هـو بلمظفر بن محمـود بن المعرف، ويقول ابن أبى أصيبعة[2] عنه: إنـه كان ذكياً فطناً كثير الاجتهاد والعناية والحرص فى العلوم الحكمية. وله نظر أيضاً فى صناعة الطب والأدب. ويشـعر، وكان قد اشتغل علـى ابـن العين زربى، ولازمه وقرأ عليه كثيراً من العلوم الحكمية وغيرها، ورأيت خطة فى آخر تفسـير الإسكندر لكتاب الكون والفساد لأرسطوطاليس، وهو يقول: إنه قرأه عليه. واتقن قراءته وتاريخ كتابته لذلك فى شـعبان سـنة ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م. وكان بلمظفر حسن الخط جيد العبارة، وكان مغرى بصناعة الكيمياء والنظر فيها والاجتماع بأهلها، وكتب بخطه من الكتب التى صنفت فيها شـيئاً كثيراً جداً. وكذلك أيضاً كتب كثيراً من الكتب الطبية والحكمية، وكانت له همة عالية فى تحصيل الكتب وقراءتها.

(١) السامرائى، تاريخ الطب ٤٧٦/٢

(٢) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٧٩

وكتب ابن أبى أصيبعة يقول: وحدثني الشيخ سديد الدين المنطقى عنه (أى بلمظفر بن معرف) أنه كان فى داره مجلس كبير مشحون بالكتب على رفوف فيه، وأن بلمظفر لم يزل فى معظم أوقاته فى ذلك المجلس مشتغلاً فى الكتب وفى القراءة والنسخ.

وجميع كتبه التى عنده كتب على ظهرها ملحاً ونوادر مما يتعلق بالعلم الذى صنف فيه ذلك الكتاب.

ومن شعر بلمظفر بن معرف (المتقارب) :

وقالوا الطبيعة مبدأ الكيان ... فيا ليت شعرى ما هى الطبيعة ؟

أقادرة طبعت نفسها ... على ذاك أم ليس بالمستطيعة

وقال أيضا (المتقارب) :

وقالوا الطبيعة معلومة ... ونحن نبين ماحدها

ولم يعرفوا الآن ما قبلها ... فكيف يرومون مابعدها

ولبلمظفر بن معرف من الكتب :

١- تعاليق فى الكيمياء

٢- كتاب فى علم النجوم

٣- مختارات فى الطب

***